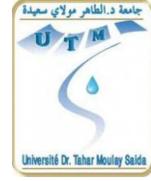
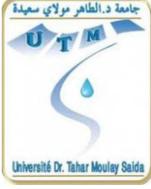


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة-



كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية
تخصص الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي:

البعد الإنساني في شعر محمود درويش

تحت إشراف الاستاذ:

العربي دين

من إعداد الطالبتان:

لابرص خديجة

تامي نريمان عباسية

1437 - 1438 هـ / 2016 - 2017 م



شكر و عرفان

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

﴿سورة التوبة، آية ١٠٥﴾ صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك،

و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك،

و لا تطيب الجنة إلا لرؤيتك الله جل جلاله،

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة.

إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

و قبل أن نمضي نتقدم بأسمى آيات الشكر و الامتنان والتقدير

و الاحترام و الشكر الكبير إلى الأستاذ المؤطر

"العربي دين"

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و سعت صدره في تذليل الصعوبات

و أجمل ما يمكن أن نقول له

بشراك قول رسول الله صلى الله عليه و سلم

" إن الحوت في البحر و الطير في السماء ليصلون على معلم الناس خير".

كما لا ننسى بتوجيه خالص الشكر إلى كل أساتذة الأدب

الذين كانوا خير عون و سند لنا.

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى من حضناني وشملاني بعطفهما،
وفاء لدينهما واعترافا لفضلهما، إلى أمي وأبي الذين كان سبب وجودي
وتعلمي.

إلى روح جدي الطاهرة رحمه الله عز وجل وأسكنه فسيح جنانه.
إلى المصاييح المشمعة في حياتي إخوتي: وليد، إبراهيم، أيوب، إيمان.
وإلى برعوم ابن أختي "حمودي عبد الرحمان".

إلى زوج أختي: عبد العالي، وإلى كافة العائلة من قريب أو بعيد.
إلى كافة صديقاتي اللاتي تقاسمت معهن الأفراح والأحزان: إيمان،
نعيمة، حنان، جمعة، عبلة وحليمة.

إلى جميع زملائي وزميلاتي الأعزاء بقسم اللغة العربية وآدابها.
إلى كل من كان له الفضل في تربيتي وتعليمي.
وإلى كل من علمني حرفا، عاملني عطا ولطفا أو كان لي ألفا من ألقى
إلي بالموودة وأعانني في الشدة

دون نسيان من ساعدني فكتابة وإتقان هذه المذكرة السيد "تقي الدين"

** خديجة **

إهداء

إننا في هذه الحياة ندين لكثير من الناس أقرباء كانوا أو غير ذلك،
ولعل أقل شيء يمكننا أن نفعله اتجاههم هو شكرهم.

أستهل بشكر المولى عز وجل الذي وفقني وأنعم علي بالعقل، وإلى
من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور
العالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى من أنار لدرب
العلم والمعرفة، وحرص علي منذ الصغر واجتهدا في تربيته والدي
الحبيبان وإلى أخواتي، وإلى أخي وكل أبناء إخوتي وأخواتي، كما
أتقدم بالشكر إلى الأستاذ "دين العربي" الذي عمل جاهدا لتقديم هذا
العمل المتواضع، وإلى كل أساتذتي وكل من أشرف علي تعليمي وإلى
كل من سقط من حلمي ولم ينسأه قلبي، أسأل الله أن يجمعني وإياكم
في جناته الواسعة "آمين "

** نديمان **

مَقَامَةٌ



يلعب الشعر دورا كبيرا في حياتنا العربية المعاصرة، فهو نسيج لغوي يقوم بإعادة تركيب اللغة، ويجاورها ويستنظف ما لا تقوله، واللغة لا تزال في معركة البقاء الوطني، تأخذ حجما حضاريا كبيرا، في طريق للعودة إلى الينابيع وتشير إلى انبثاق ينابيع جديدة، وعليه فالقراءة في الشعر الفلسطيني المعاصر، يعني البحث عن الشخصية العربية، لأنه متكلم عن الأرض العظيمة التي أسالت حبر كل أبي غيور على دينه ووطنه وعروبته هذه الأرض - فلسطين- التي ينزف جرحها تحديا وصعودا لأجل مواصلة الكفاح والذود عن أرض فلسطين الأبية.

وقد لا تكفي الكلمات وهي لا تكفي فعلا إن تحدثنا عن جرح عميق اسمه فلسطين، فهناك من أبدع وأجاد في التغني بها ووصف مآسيها وواقعها وأملها، ومن هؤلاء الفحول الشاعر الكبير "محمود درويش" شاعر الثورة الفلسطينية، حيث شكل مدى سنوات عطائه الشعري والأدبي ظاهرة شعرية لافتة للنظر ومدرسة إبداعية جديدة بالتوقف أمامها، وهذا ما شد انتباهي للبحث والتنقيب، من خلال دراسة بعض الدواوين كديوان كزهر اللوز وأبعد التي حظيت بالنقد والدراسة فمن خلال هذه المراجع سنحاول إبراز مفاهيم وأفكار عديدة حفلت بها هذه الكتب، وإن القارئ المتأمل لها سيلمح ذلك البعد الإنساني، ولذا قررنا أن يكون عنوان بحثنا ومذكرتنا هو دراسة "البعد الإنساني في شعر محمود درويش"، وذلك من خلال دراسة بعض قصائد الدواوين لتكون نموذجا للدراسة والتمثيل، ومن هنا يبرز سؤال أو عدة أسئلة حول البعد الإنساني فما هو البعد الإنساني؟ وما هي موضوعاته ومجالاته المختلفة؟ وهذه الأسئلة وأخرى سنجيب عنها.

أما قبل الإجابة فسنجد وانطلاقا مما سبق مجموعة من الدوافع الذاتية (الشخصية) والموضوعية التي وقفت وراء اختيارنا الموضوع دون غيره، وأقصد بالموضوع "البعد الإنساني في شعر محمود درويش"، أما الدوافع الذاتية تمثلت في:

1. الميل الخاص إلى الدراسات الأدبية العربية الحديثة والمعاصرة.

2. الحب الكثير لأدب المقاومة الذي يعد من بين الأنواع الأدبية تجدر في التاريخ وله الفضل في استنهاض همم الشعوب.

3. الشغف بأشعار "محمود درويش" الذي يعد من فحول الشعر العربي الحديث والمعاصر.

أما الدوافع الموضوعية فقد تمثلت في:

1. جدية الموضوع، واستحقاقه للبذل والعطاء كما وكيفاً، إذ أن الخوض فيه يسير جانبا مهما هو البعد الإنساني، بصفته ركيزة أساسية من ركائز العمل الأدبي.

2. ثراه وغنى شعر "محمود درويش" بالتصوير حتى أضحى منهجا متبعا في الكتابة الشعرية، يجدر بالباحث الإلتفات إليه وإلى دواوينه.

3. صلاحية دراسة البعد الإنساني التي تعد معيار القياس شاعرية المبدع، لأن البعد يعد من أهم وسائط الشاعر في نقل تجربته والتعبير عن واقعه، ومن خلاله تقف عند مذهبه الفني، وموقفه الإنساني من قضايا واقعة.

وتتضافر هذه الدوافع السابقة مجتمعة ثم العزم على جمع مادة البحث ثم توزيعها فيما بعد على خطة تشمل على مدخل ثلاثة فصول وخاتمة لأهم المصادر والمراجع.

وقفة مع الشاعر "محمود درويش" وحياته، ومراحل التطور الشعري عنده، لأن التعرف على عالم الشاعر والوظائف المحيطة به يساهم في الكشف عن خصوصيات البعد الإنساني عنده.

أما الفصل الأول:

عالج موضوعات شعرية "محمود درويش" ومجالاتها المختلفة في أربعة مباحث، تناول المبحث الأول: بناء القصيدة عند "محمود درويش"، وكما أشارت إلى المصادر الأساسية التي تعتبر منبعا لتشكيل الشعرية عند الشاعر وهي تحقيق للتوازن الصعب بين الواقع الذي يكابده وجماليات الفن، ثم يأتي المبحث الثاني الذي يتناول اللغة الشعرية الذي صور فيه الألفاظ في شعر محمود درويش، أما المبحث الثالث فقد عالج الصورة الشعرية وقد كانت لها عدة

دلالات لغوية، ذهنية، نفسية...، ثم يأتي بعدها المبحث الرابع الذي تناول مجال الموسيقى الشعرية المتمثلة في شعرية الإيقاع، وقد اعتبرنا هذه المباحث لأنها ملائمة وكان لها أثر في بناء شعرية "محمود درويش".

وفي الفصل الثاني:

وقفنا عند إنسانية "محمود درويش" من خلال شعره، ومجالاته المختلفة في أربعة مباحث، تناول المبحث الأول مجال العرب الذي تحدث عنه الشاعرنا والمتمثل في حالة الحصار والإحتلال الصهيوني لفلسطين، والمبحث الثاني كان فيه "محمود درويش" يتمنى عيش فلسطين في حرية واستقلال، وفي المبحث الثالث تحدث عن الحب الذي شمل الأرض الفلسطينية، والمبحث الأخير تحدث عن الموت والحياة حيث كانت شهوته للحياة أقل وسجل كذلك معاناته من المواجهة مع الموت التي لا مفر منها.

أما الفصل الثالث:

عرض تجليات رمز المرأة في شعر "محمود درويش" من خلال نماذج شعرية، وقد اشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث، المبحث الأول تناول المرأة الوطن، والمبحث الثاني عالج المرأة الأم، والمبحث الثالث كان حول المرأة الحبيبة، والمبحث الرابع فقد تناول المرأة الأخت.

وقد اتكأت الدراسة على المنهجين الفني التحليلي والمنهج البلاغي، وهما من أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب والفنون على وجه العموم، وذلك من خلال مواجهة النصوص واستخراج جمالياتها.

وإذا كان لكل بحث دوافع وأسباب فمن الطبيعي أن تكون هناك صعوبات تعترض طريق البحث وتكمن الصعوبة في كثرة المصادر والمراجع وصعوبة الإنتقاء.

ولكل عمل جهد والجهد فيه تعب وتعني كان لذة وراحة لأنه في سبيل العلم وإثراء الأدب وتوقيع إسمي في

خاتمة الباحثين، ولو بالقدر القليل ليكون شعلة لاستمرار عمل الأجيال القادمة.

بعد هذا يبقى من الواجب أن اتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني من قريب أو بعيد ماديا ومعنويا في إنجاز هذا البحث المتواضع، وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "الدين العربي" عرفانا وتقديرا لما أبداه لي من ملاحظات تقييمية مفيدة أنارت لي طريق البحث.

مَخَل

1. حياته

هو الابن الثاني لعائلة تتكون من خمس أبناء وثلاث بنات، ولد عام 1941 في قرية البروة، وهي قرية مدمرة يقوم مقامها اليوم قرية أعيود، تبعد حوالي 1215 كم عن سهل عكاه وفي عام 1948م لجأ إلى لبنان، وهو في السابعة من عمره، وبقي هناك عاما واحدا، ليعود بعدها إلى فلسطين ويمكث في قرية دير الأسد شمال بلدة مجد كروم في الخليلي لفترة قصيرة ثم استقر في قرية الجديدة شمال غرب قريته الأم (البروة).

أكمل تعليمه الابتدائي بعد عودته من لبنان في مدرسة دير الأسد متعقبا فقد كان يخشى أن يتعرض للنفي من جديد إذا اكتشف أمر شلله، وعاش تلك الفترة محروما من الجنسية الفلسطينية، أما تعليمه الثانوي فتلقاه في قرية كفر ياسين (2 كم شمال قرية الجديدة).¹

انظم "محمود درويش" إلى الحزب الشيوعي في إسرائيل وبعد إنهاء تعليمه الثانوي كانت حياته عبارة عن كتابة للشعر والمقالات في الجرائد مثل "الإتحاد" والمجلات مثل "الجديد" التي أصبح فيها يعد مشرفا على تحريرها، وكلاهما تابعان للحزب الشيوعي، كما اشترك في تحرير جريدة "الفجر".

لم يسلم "محمود درويش" من مضايقات الإحتلال الصهيوني، حيث اعتقل أكثر من مرة منذ عام 1961 بتهم تتعلق بأقواله ونشاطاته السياسية حتى عام 1972م، حيث نزع إلى مصر وانتقل بعدها إلى لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر للدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية.²

¹ مشري بن خليفة، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، ص 148.

² محمد وائل عبد ربه، محمود درويش من المهدي إلى اللحد، دار ياخا للنشر والتوزيع، ط 1، 2009م، ص 9، 10 بتصرف.

وقد استقال "محمود درويش" من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على "إتفاق أوسلو"، شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحيفة الفلسطينية وحرر مجلة "الكرمل" وأقام في باريس قبل عودته إلى وطنه حيث دخل إلى إسرائيل بتصريح لزيارة أمه، وأثناء تواجده هناك قدم بعض أعضاء الكنيسة الإسرائيلية العرب واليهود اقتراحاً بالسماح له بالبقاء في وطنه، وقد سمح له بذلك.

حصل محمود درويش على عدد من الجوائز منها:

- جائزة لوتس عام 1969م.
- جائزة البحر المتوسط عام 1980م.
- درع الثورة الفلسطينية عام 1981م.
- جائزة ابن سينا في الإتحاد السوفياتي عام 1982م.
- جائزة لبنين في الإتحاد السوفياتي عام 1983م.¹

2. شعره

يعد محمود درويش شاعر المقاومة الفلسطينية، فهو واحد من أكبر الشعراء العرب في العصر الحديث، وذلك لما حفل به شعره من مقاومة وتصدي وقد مر بمراحل بارزة تتمثل في:

1.2. مرحلة الرومانسية: وكانت في الستينات من عمر الشاعر.

2.2. مرحلة الإنسانية: كانت في السبعينات من حياته.

¹ محمد وائل عبد ربو، محمد درويش، من المهدي إلى اللحد، ص 08-15.

3.2. مرحلة الوجودية والفلسفية: بدأت هذه المرحلة مع بداية الثمانينات وما زالت إلى حد الآن.

ولعل أهم ما يميز تجربته الشعرية هو امتزاج كل مرحلة من مراحلها بمشاعر الغضب والثورة التي ما انقلت

بؤرة ومركز الإنطلاقة ضد طوفانات ثلاثة حاصرته من جميع الجهات:

الأول: طوفان الإحتلال وضياع الوطن.

الثاني: طوفان العصر الذي اختلت موازينه.

الثالث: طوفان الإنسان الجديد الذي طريقة وأهدر قيمة وحرف في طريقه الأخضر واليابس، وأغرق كل ما تبقى

من قيم الحق والعدل والحرية والإستقرار في هذا العصر المسوخ المتطاحن.¹

فالشاعر "محمود درويش" إذن شاعر قضية قبل كل شيء (قضية وطنية.... وقضية ثقافية.... وقضية

سياسية، وقضية إبداع شعري وقضية بيتية شعرية، وقد استنفذ كل طاقته في سبيل تلك القضايا...)².

3. مؤلفاته

للشاعر "محمود درويش" مؤلفات عديدة امتدادها الزماني منذ عام 1946م إلى غاية الوقت الحالي، وقد

تنوعت بين شعر ونثر، كان للشعر منها الحظ الأوفر، فقد كتب الشاعر طيلة حياته عشرين ديوانا مقابل بضعة

أعمال نثرية، فضلا عن مقالات الصحف.

¹ فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر "محمود درويش"، ص 16، 17.

² المرجع نفسه، ص 17.

وفي الجدول التالي رصد لهذه الأعمال¹:

المؤلفات الشعرية	المؤلفات النثرية
/ أوراق الزيتون 1964م.	/ يوميات الحزن العادي.
/ عاشق من فلسطين 1966م.	/ شيء عن الوطن.
/ آخر الليل 1967م.	/ عابرون في كلام عابر.
/ العصافير تموت في الجليلي 1969م.	/ ذاكرة النسيان.
/ حبيبي تنهض من نومها 1970م.	/ في انتظار البرابرة.
/ أحبك أو لا أحبك 1972م.	/ في وصف حالتنا.
/ محاولة رقم 7 1973م.	/ الرسائل "محمود درويش" و "سميح القاسم".
/ تلك صورته وهذا انتحار العاشق 1975م.	/ في حضرة الغياب.
/ أعراس مديح الظل العالي 1983م.	/ حيرة العائد.
/ حصار لمدائح البحر 1984م.	/ أثر الفراشة.
/ هي اغنيته 1986م.	
/ ورد أقل 1986م.	
/ أرد ما أريد 1990م.	
/ أحد عشرة كوكب 1992م.	
/ لماذا تركت الحصان وحيدا 1994م.	

¹ فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص 18.

	/ سرير الغربية 1996م - 1997م. / جدارية 1999م. / حالة حصار 2002م.
--	--

بعض المقالات والحوارات الصحفية¹

1. درويش محمود، "الشعر عرفة وهواية"، الكرمل: فصيلة ثقافية تصدر عن مؤسسة الكرمل الثقافية، 79 (ربيع 2004)، 198 - 207.
2. درويش محمود، "كلام في الشعر"، الكرمل: فصيلة ثقافية تصدر عن مؤسسة الكرمل الثقافية، (شتاء 2004)، 178 - 195.
3. درويش محمود، "طباق قصيدة"، الكرمل: فصيلة ثقافية تصدر عن مؤسسة الكرمل الثقافية، 81 (خريف 2004)، 68 - 79.
4. درويش محمود، "المطر الناعم في خريف بعيد، قصيدة"، الفكر الجديد، أدبية ثقافية شهرية، 6 (2003)، 158.
5. درويش محمود، "حوار مع درويش محمود عن السياسة والشعر وتجربة الموت"، مجلة الدراسات الفلسطينية، 48 (خريف 2001)، 7 - 23.

¹ رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، الطبعة الثانية، ص 97.

6. درويش محمود، "محمد...يسوغ صغير في قلب أيقونته"، الأسوار للأبحاث الفكرية والثقافية الفلسطينية، 22 (2001)، 32-34.

4. وفاته

توفي محمود درويش في الولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت 2008/08/09م، بعد إجراء لعملية القلب المفتوح في مركز تكساس الطبي في بيوسن تكساس الذي رحل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأدباء في مستشفى "ميموريال هيرمان" بالإنجليزية (Memorial Hermann Hospital) نزع أجهزة الإنعاش بناء على توصيته.

وأعلن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس الحداد ثلاثة أيام في كافة الأراضي الفلسطينية حزنا على وفاة الشاعر الفلسطيني واصفا درويش "عاشق فلسطين" ورائد المشروع الثقافي الحديث والقائد الوطني اللامح والمعطاء، وقد وري جثمانه الثرى في 13 أوت في مدينة رام الله حيث خصصت له هناك قطعة أرض في قصر رام الله الثقافي، وتم الإعلان أن القصر تمت تسميته "قصر محمود درويش".

وقد شارك في جنازته آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني وقد حضر أيضا أهله من أراضي 48 وشخصيات أخرى على رأسهم رئيس السلطة الفلسطينية "محمود عباس" ثم نقل جثمان الشاعر إلى رام الله.

الفصل الأول

المبحث الأول: بنية القصيدة في شعر "محمود درويش"

يرى الدكتور "ناصر علي"¹ في كتبه الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والشعر مؤخرًا موضع بنية القصيدة في شعر "محمود درويش" في مدة مقاربة لأربعة عقود، بدايته من الديوان الأول "أوراق الزيتون" الذي صدر عام 1962م، وحتى ديوانه الأخير "سرير الغريبة" الذي صدر عام 1999م.

وفي البداية يرى أن "محمود درويش" أخذ مطورا بنية القصيدة وفق وتيرة متصاعدة تجدد أدواتها دائما، فهو غير مستقر على الحال، ففي شعره الحدائث متغيرة وليست ثابتة، وإنما لكل مرحلة حدائتها النوعية، وهو استطاع تحقيق التوازن الصعيد بين الواقع الذي يكابده وجماليات الفن.

ففي بداية الكاتب تستوقفه في تركيبه "درويش" الشعرية، وخصوصا في ديوانه الأخير "سرير الغريبة" ظاهرة الغموض، فهم منذ ديوانه (محاولة رقم 7) أخذ ناحتا لنفسه لغته الخاصة من حيث التراكيب، لغة مكثفة محملة بالرموز والأساطير كما في قصيدته "حجر كنعاني في البحر الميت" لكن لغته متحولة إلى مجموعة كمن الصور والتعابير غير مفهومة.

والباحث يخلص إلى أن لغة "محمود درويش" بعد خروجه من الوطن متحولة من لغة الإنفعال والعاطفة التي اتسمت بالبساطة والوضوح إلى لغة التعقيد والعلم ذات الطبيعة الجدلية والتحليلية، وبعد التعريف على حقيقة الأوضاع في الوطن العربي أصيب طموحه بصدمة شديدة، فتحول إلى العلم عليه يعينه على الصمود، وقد عبر "محمود درويش" عن ذلك بقوله: "يا أيها الوطن المكرر في الأغاني والمدائح... كيف تتحول إلى علم وتسوق الدهشة وتتركني حجرا... لعلك أجمل في صيرورتك حلما... لعلك أجمل" أخذ "محمود درويش" مختارا لغة جديدة وذلك مع اقترابه من الواقع وانتمائه إلى العلم، تناسب العلم ومعبرة عن الإغتراب، وبروز لغة جديدة هي لغة التضاد والمتناقضات التي تمثل هذا الصراع تحت تأثير هذا الصراع بين الحقيقة والواقع.

¹ د. ناصر علي، جريدة الشرق الأوسط، الأربعاء 24 جمادى الأولى 1422هـ، 15 أغسطس 2001، العدد 8296.

والباحث مشيراً إلى أن لغة العلم تقتضي إلى الترميز، وهذا ما أدى إلى زيادة درجة الغموض في بعض قصائده، كما في قصيدة "الخروج من ساحل المتوسط".

هنا الخروج هنا الدخول هنا الذهاب هنا الإياب ولا مكان هنا أنا الزمن الذي لن تفهموني خارج الزمن الذي ألقى بكم في الكهف، وهنا ملاحظة الكاتب انتقال محمود درويش من التقنية البسيطة إلى التقنية المركبة، وهذا ما أدى إلى تعقيد المعاني التي تحملها المفردات، فمعجمه تغير جذريا الذي اعتاده في الستينات، وبعد كون الكلمات شفافته قريبة المعنى أصبحت مكثفة ومحملة بدلالات تاريخية أسطورية.

كما يقول المؤلف: أخذ الشاعر مندفعاً أحيانا للعب بألفاظ اللغة، بحيث وصوله إلى حد التصرف بالشعر القديم حين تمثله في النص "لها ابط ظي وساق نعامة وجناح شحور وومضة شمعدان"، وقد يعرف الكلمات عن مواضعها وتلاعبه بالإستعارات المعروفة "فتنة أو محنة"، وكذلك تلاعبه بالكلمات والضمائر "تاريخنا تاريخهم، نهايتهم بدايتنا"، أو "بلادنا هي أن تكون بلادنا" أو "أحتاج ما يجب... يجب الذي يجب". واللعب بالألفاظ متحول إلى نوع من الامبالاة والعبث، فيوصف الشيء بضده (السؤال والجواب"، ووصف الشيء بذاته (الرمل رمل) أو (الليالي كلها ليل" أو "الجحيم هو الجحيم"، أو يكون على شكل بعثرة للجمل مثل: بيروت فراشة بحرية، نرجسية الرخام، بيروت من تعب ومن ذهب... ومن فضة.

وحسب الدراسة ظهرت ظاهرة الحذف فيقول: نعرف أن جميع الأمكنة تفتقي آثار موتانا ولا نسمعهم ونزيع الأزمنة عن سرير الليلة الأولى وألا وكذلك ظاهرة الإختزال كما في قوله: نيرون ماتا...¹

¹ د. ناصر علي، الجريدة السابقة.

ويقول في قصيدة الرمل: إنه الرمل مساحات من الأفكار والمرأة، فما الذي يجمع بين الأفكار والمرأة هنا؟ انتقال المؤلف إلى ناحية أخرى فملاحظته أن التدوير لم يعد ظاهرة جزئية في بعض جوانب القصيدة في شعر محمود درويش، وإنما نراه ممتدا ليشمل جميع القصيدة لتصبح دائرية الأطراف، مندججة الأسطر، فتصبح القصيدة وحدة موسيقية متكاملة، ومثال هذه الدائرية المتكاملة قصيدة "تلك صورتها وهذا انتحار العاشق"، وهي متألفة من 482 سطرا بين طويل وقصير، ففي حركتها الخارجية مندججة ببعضها في أغلب المواضع وذلك بسبب تحريك القافي المستمر، وهذا لجواز اعتبارها سطورا.¹

ففي ديواني "محمود درويش" الأخيرين ظهور القصيدة المدورة أيضا وهما: "لماذا تركت الحصان وحيدا" و "سرير الغريبة"، فمعظم قصائدها متألفة من مقاطع، كل مقطع عبارة عن جملة شعرية، متعاقبة الأسطر وينتهيها بنقطة.

وهذه الجمل الشعرية تتكامل وتترابط بالتكرار عينا، وبالفراغات البيضاء عينا آخر للتعبير عن الفكرة التي يريدتها، وهذا الأسلوب في ديوانه "لماذا تركت الحصان وحيدا" قد أفاده. فالقصائد تظهر هنا وكأنها قصيدة واحدة، واختلفت العناوين. ومن هنا يمكن استخلاص أن مراحل بنية القصيدة عند محمود درويش تتمثل في:

مرحلة ما قبل خروجه من الوطن، هي بداية المشروع الشعري عنده، حين كانت قصيدته غنائية أحادية الصوت، قام فيها بتقليد من سبقه من الشعراء أمثال "أبي سلمى، عبد الكريم الكرمي، ونزار قباني"، وكانت قصيدة لا تلتزم بالقضية الوطنية، همها وصولها إلى الناس وتنمي لديهم الوعي بالواقع الذي يعيشونه.

ثم المرحلة الموالية وهي الإقامة في المنفى، حيث عيشه تناقضات الواقع العربي، واستطاع التعبير عن هذا الواقع بجماليات فنية وذلك بفضل مهارته الفنية، حيث قام بتوظيف عناصر أدبية مثل السرد والسؤال المستمر، فتعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة المتكاملة، وازداد عمق الوعي عنده، أخذ مقدا التجربة الفلسطينية ضمن

¹ د. ناصر علي، الجريدة السابقة.

معان إنسانية، مستمدة من تاريخ الإنسان في صراعه المستمر من الحياة، وظهر ذلك في قصائد عديدة له، نذكرها أهمها: "مديح الظل العالي" و"حجر كنعاني في البحر الميت" و"مأساة النرجس... ملهاة الفضة".

فقصيدته "لماذا تركت الحصان وحيدا" ظهور التحول إلى تأملات فردية وإنسانية، ومن خلال الظروف التي تعيشها الذات بعد الهزيمة في بيروت، وخروجها إلى الماضي والمخاوف التي تنتاب الجماعة على مستقبلها، فهذا تعبير عن الذات الفردية والجماعية من خلال الظروف.¹

فالتأمل في الذات الفردية من مرحلة الطفولة عند الكهولة ظهر في ديوانه "سرير الغريبة" واستمر هذا في قصيدته "جدارية محمود درويش" المتمثلة في تأملات متراثة له في الحلم أثناء ذهابه في غيبوبة بعد القيام بعملية القلب المفتوح التي أجريت له.²

إذن محمود درويش لديه القدرة الهائلة على إبداع أنماط متطورة من دلالات الألفاظ عن طريق الإنحراف بها عن معانيها المباشرة، فمن خلال المعرفة المعجمية، دون الاعتماد على السياق الذي تجيء فيه اللفظة، وضمن البناء الكلي يصعب التعرف على معاني الألفاظ.

¹ د. ناصر علي، الجريدة السابقة.

² الجريدة السابقة.

المبحث الثاني: الصورة الشعرية عند "محمود درويش"

تعد الصورة الشعرية من العناصر المركزية المكونة للنص الشعري، لأنها المولدة للدلالات الإيحائية، كما تعتبر من علامات الإبداع الشعري، وبدونها لا يمكن للقصيدة أن تكتمل خاصة القصيدة المعاصرة، وهذا راجع إلى حيويتها وفعاليتها التي تشكل عضويتها لأنها ليست مجرد حشد مرصوص من العناصر الجامدة، ثم إن الصورة حديثاً تتخذ أداة تعبيرية ولا يلتفت إليها في حد ذاتها، فالقارئ لا يقف عند مجرد معناها بل إن هذا المعنى يثير فيها معنا آخر وهو ما يسمى "معنى المعنى" كما كان يعبر باللفظة.¹

فالصورة الشعرية لها القدرة على استنطاق القارئ، وكشف المراد المحتمل من غموضها ولهذا كانت الصورة الشعرية من الدوال الرئيسية التي تسهم في تحديد ماهية الشعر ومبلغ شعرته، حيث غدت القصيدة تقرأ صورة كما هو الحال مع مجمل الشعر الحديث فالمعاصر "فالصورة تشكيل إبداعي كالرسم الشكلي المفتوح يدخلك في حالة تجعلك جزءاً وأنت في داخل النص."²

فالصورة الشعرية تمثل دليلاً للقارئ للوصول إلى معانٍ أخرى في النص الشعري، كما أنها تسمح للقارئ الولوج إلى عالم القصيدة وفك شفراتها، حتى وإن لم يصل المتلقي إلى المعنى اليقيني، لأنها تكون مرتبطة بالخيال أكثر من ارتباطها بالعالم الحسي وهذا ما يفسر اتجاهها إلى الإستغناء عن المعالم الحسية المحدودة والأشغال ببناء وجود فني مستقل يستمد وجوده من عناصر الصورة الشعرية نفسها لا من عناصر الواقع الحسية.³

فالصورة من حيث المفهوم لم تعرف استقراراً، لأن لكل ناقد تصوره الخاص وهي مرتبطة بالشعر، وقد

اتخذت عدة دلالات:

● الدلالة اللغوية.

¹ عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط...، 2002، ص 82.

² عبد الرحمان ياني، محمود درويش في مرحلة النضج والتفوق، زيتونة المنفي، م، س، ص 145.

³ إيمان محمد وحضر الكيلاني، بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط 1، 2008، ص 73.

- الدلالة الذهنية.
- الدلالة النفسية.
- الدلالة الرمزية.
- الدلالة البلاغية.

وكل دلالة من هذه الدلالات لها وجهة نظر حول خصائص ومكونات الصورة والتي بفضلها تكتمل بنية القصيدة، وتظهر سماتها، لأن الصورة لها حضورها الخاص في العمل الشعري.

فإذا جئنا إلى الدراسات البلاغية العربية نجدها تناولت واهتمت بظاهرة الصورة الشعرية إلا أنها ركزت على الطبيعة الزخرفية لها، أي ظاهرها الذي قد يتعد عن نبض الأدب وحيوياته الداخلية، كما هو الحال مع نهاية العصر العباسي حيث غال البعض في استعمالها ظنا منهم أنها غاية الأدب من دون الوسيلة، فحولوا الأدب إلى مجرد صنعة مقيتة، بينما اعتبرها "عبد القاهر جرجاني" عنصرا حيويا من عناصر التكوين النفسي للتجربة الشعرية، كما أن النقد الحديث (المدرسة الرمزية، والمدرسة الصورية) قد رفض التصور التقليدي للصورة وكشف عن علاجها الحيوية بالعمل الفني، وإذا كانت المناهج النقدية تتفق على كون الصورة تفعل على المستوى الدلالي، فهي تتجاوز وظيفتها المعنوية، كون أن دلالتها تتبدى في الفاعلية المعنوية، وفي الفاعلية النفسية، وعلى هذا الضوء نجد أن الشاعر "محمود درويش" استثمر هذه الدلالة الشعرية لبناء نصه الشعري شكلا ودلالة، تصويرا وتخيلًا حتى صارت في تجربته مدركا تنفعل بها الذات، وتخلق لا لتنقل معنى فحسب بل لتخلق جوا أيضا، وتتناغم فيها الفاعلية النفسية مع الوظيفة المعنوية، بحيث تتكاملان وذلك سرده كون الشاعر نفسه يمارس عملية التلقي الأول لنصه، ويمكن لهذا الفعل التصويري أي يتراكم ويتوزع على أكثر من صورة كما هو الحال مع الصورة الشعرية

المركبة، وهي نوع من الصور يلجأ الشاعر فيه في هذا النوع من الصور، بإعطاء المتلقي الرؤية الواضحة عن طريق إبراز التناقضات.¹

المجاز يتجاوز للطاهر إلى الباطن وللمرئي إلى اللامرئي بخلاف الوصف، لهذا نجد الوصف محدوداً والمجاز لا نهائي لأنه انفتاح لآفاق غير محدودة، وهذا ما جعل من لغة درويش الشعرية لغة خلاقية متجاوزة لكل ما هو ممكن موجود إلى فضاءات من الإمكانيات المحتملة، يقول محمود درويش:

وكل شيء أبيض

البحر المعلق فوق سقف غمامة

بيض، واللاشيء أبيض في

سماء المعلق البيضاء، كنت ولم

أنت فأنا وحيد في نواحي هذه

الأبدية البيضاء، جنت قبيل ميعادي

فلم يظهر ملاك والحد ليقول لي:

"ماذا فعلت هناك في الدنيا؟"

ولم أسمع هتاف الطيبين ولا

أنين الخاطئين، أنا وحيد في البياض

أنا وحيد²

¹ حيدر توفيق بيضون، محمود درويش، شاعر الأرض المحتلة، ص 99.

² محمود درويش: الجدارية، ص 09، 10.

"إن الصورة في الشعر لا تفرض من الخارج وليس زينة أو حلية خارجية في القصيدة، بل هي جزء من التفكير وطريقة التعبير ومن هنا فالإستعارة أو التشبيه أو الكناية أو غيرها من الوسائل البيانية والبديعية ما هي إلا طريقة للتفكير لا مجرد أدوات تزيينية مضافة للقصيدة.¹

فالصورة التي يرسمها الشاعر للعلاقات الجديدة التي تمتد بين الذئب والنشاط تخرج عن المؤلف الذي يستند عليه الذهن، فيحصل التقابل بين الواقع والمتخيل، والحاضر والغائب، ثم يكون اسقاط الصورة على قدر ثقافة القارئ ومخيل المتلقي، فللذئب أن يكون المستعمر الإسرائيلي أو المستوطن اليهودي أو الجلاد والسياق عموماً، وللنشاط أن تكون الذات العربية أو الفلسطينية أو الذات المغلوبة على أمرها، وقد يخرج بها التصوير الخيالي إلى الذات المسالمة التي أسقط في يدها وهلما حبرا:

على طلبي بنيت الظل الأخضر

والذئب يغفو على شعر شاتي

ويحلم مثلي ومثل الملاك

بأن الحياة هنا... لا هناك²

ويرسم "درويش" صوراً أخرى بريشة لغته الكيميائية، صوراً تومئ من غير ما تصرح غلى شيء من سيرته الذاتية والشعرية، وكيف أن "درويش" الذي تربى على أرض فلسطين هو من يقود "درويش" الشاعر التي عاجلته ظروف الزمن وويلات المنافي.

أنا هو يمشي أمامي وأتبعه

لا أقول له: ههنا، ههنا

¹ مصطفى ناصف: الصورة الادبية، دار الاندلس، ط 2، 1981، ص 147.

² محمود درويش، حالة حصار، ص 71.

كان شيء بسيط لنا

حجر أخضر، شجر، شارع

خمر يافع، واقع لم يعد واقعا

هو يمشي على ظله تابعا...

كلما أسرع ارتفع الظل فوق التلال

وغطى صنوبرة في الجنوب

وصفصافة في الشمال¹

ليس الحوار هنا بين شخصيتين مختلفتين إنه حوار بين "درويش" قبل 1970 ودرويش بعد 1996 و"درويش" يدرك الآن أنه يشكل من ذوات عديدة أخذ درويش ما قبل 1970 هو غير "درويش" ما بين 1970-1996، هو غير "درويش" ما بعد 1996، و لا يحتاج القارئ إلى الكثير من الذكاء حتى يكتشف هذا، إن "درويش" ما قبل 1970 الذي عرف فلسطين جيدا، وكانت غير ما غدت عليه بعد هذا التاريخ هو من يقود "درويش" 1996 الذي عاد وكان افترق عن "درويش" 1970 الذي قاد الغائب صوت البداية: القرية والأم والحقل والزيتونة حيث ولد هناك...²

هذه الذات من خلال المقارنة التاريخية، التي تمازجت فيها ذات درويش الماضي مع الذات الحاضرة، تكشف عن رؤية نقدية وتجربة وجودية تؤديها هذه الصورة الشعرية المتراكبة أساسا من صور جزئية تحقق روح الشاعر ونبض الفن عن طريق تعلقها، صورة الشاعر القائد الذي يمشي في المقدمة وصورة الشاعر الذي يقتفي الخطى وصورة الظل وصورة التي تشير إلى المنحنى التصاعدي للسير.

¹ محمود درويش، ديوان كزهر اللوز، رياض الرئيس للكتب والنشر، لبنان، 2005، ط 1، ص 153.

² محمود درويش، ديوان كزهر اللوز، رياض الرئيس للكتب والنشر، لبنان، 2005، ط 1، ص 153.

1. درويش المقدمة: درويش الفتى الفتى قبل 1970.

2. درويش الذي يتبع السير: درويش العائد من المنفى بعد 1996.

3. الظل: درويش المنفي ما بين 1970 و 1996.

وبعد ذلك لا يرى "درويش" يدا، إلا أن يترك النص مفتوحاً على غير تأويل واحتمالات القول غير يجعل

قفل القصيدة صورة أخرى في قوله:

ألم نفترق؟ قلت قال: بلى

لك مني رجوع الخيال الواقعي

ولي منك تفاحة الجاذبية

قلت: إلى أين تأخذني؟

قال: صوب البداية، حيث ولدت

هنا، أنت واسمك

من خلال ما سبق يمكن القول أن الصورة تحتل مكانة مرموقة على مستوى القصيدة ككل، لأن التعبير به

في حد ذاتها هو "لغة الشاعر التلقائية التي لا يتعلمها ولا يحتاج إلى الإعتذار عنها"¹ بمعنى أن حضور الصورة

الشعرية في العمل الشعري هو تلقائي لا يحتاج من الشاعر تعلمها أو التكلف في توظيفها.

¹ إيمان محمد وحضر الكيلاني، بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط 1، 2008، ص 43.

المبحث الثالث: اللغة الشعرية عند محمود درويش

"محمود درويش" شاعر من شعراء الضاد - اللسان العربي - وهم كثير نظموا الشعر من الجاهلية إليه، فلا هو أولهم ولا هو آخرهم ومع هذا تفرد عنهم بمعجمه الشعري المتكون أساسا من ألفاظهم، يقول "درويش" في قصيدته رحلة المتنبي إلى مصر.

الآن أشهر كل أسئلتي

واسأل: كيف أسأل؟

والصراع هو الصراع

والروم ينتشرون حول الضاد

لا سيف يطاردهم هناك ولا ذراع

كل الرماح تصيبيني

وتعيد أسمائي إلي.¹

أتى "درويش" بالجديد على صعيد الإسناد، فتميز اللغة عند الشاعر يكمن في قدرته على نسج علاجات لغوية تقضي إلى شاعرية معينة وتتيح للقارئ تقدير المؤلف المحذوف من خلال الدهشة التي يثيرها اللامألوف من الإسناد اللغوي فالروم ويقصد من ورائها الأعاجم وهي مقابل للعرب، الذي أشار إليهم بالضاد نسبة إلى لسان حالهم، كما أسند فعل المطاردة للسيف دون الإنسان في فضاء يجمع بين شخص المتنبي كونه فارسا وممثلا للعرب الضاد وشاعرا وحال العرب في علاقتهم بالأعاجم حال الأعداء على الثغور والجهات وموالي أهل ذمة وشعوب تتقاسم معنى حدود الزمان والمكان وتستشري في كياناتنا حد الغلبة عليه وطمسه، وهذا دأب الشاعر

¹ محمود درويش، قصيدة "رحلة المتنبي على مصر"، ديوان حصار مدائن البحر، ص 46، 47.

مع كل نصوصه، ولما كانت القراءة إنتاجاً جديداً للنص فإنها تحتكم إلى مكنن الشعورية التي ينتج النص الأصل على أساسها، ولهذا: "إن المقارنة في الإدراك كشفت عن فهم الشعر لا يرتبط بكثرة المحزون من اللغة، وإنما يوعي وظيفتها الحقيقية في هذا الشعر، إن المعنى الشعري المتجدد لا يعتمد على تضمين الشعر كلمات جديدة ولكن يعتمد على عقد علاقات جديدة تفرضها رؤى الشعر، ومواقفهم الذاتية من الحياة والكون".¹

إن هذا الإسناد العلائقي المميز للألفاظ داخل الخطاب الشعري يكسب اللغة الشعرية شاعريتها فتعد وتوائم بين ما هو عامل لغوي معرفي وبين ما هو معمول دلالي عاطفي، وعليه فإن القارئ للنص الشعري، إنما يقرأ لغة فريدة من نوعها تختلف مع لغة النثر، لغة مشحونة بالدلالات والمعاني، لغة عاملة ومعنى محمول ما يلبث أن يصير حاملاً هو الآخر لمحمول يتولد بالإسناد العلائقي بين الألفاظ فالعمل فإلى سياقات فيما يسمى بانفجار المعنى وتنازل الدلالة: "فالعلاقة بين الشحن والمعاني علاقة تجمع عنصرين إنسانيين مهمين لأنها الذات يسيران الحياة وهما (العاطفي، والعقلي) فإذا كان انفصالان عادا في لغة العلم، فإنهما يتعدان اتحاد لحمة واندماج في لغة الشعر، وعلى هذا يغدو المعنى الشعري مؤلفاً من الأفكار المندغمة في الشعور".²

هذا ما يجعل النص الشعري يتمتع على قارئه فلا يسلم له مفاتيح حتى ينكفي على نفسه وتتجدد مغاليقه ويلتبس المعنى بتوزعه بين دوائر العقل والعاطفة.

وإننا لنجد أن "درويش" استثمر هذا الإسناد العلائقي توزيعاً للمعنى على مساحات العقل والعاطفة في حل لغته الشعرية ممدداً نصه بأسباب الحياة فلا ينقطع المعنى في نصه أو يثبت على وجهه حتى ينمو في أشكال لا متناهية بحسب العيون التي تقرأه يقول:

"وأريد ان أقمص الأشجار"

¹ عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، 2009، دار جبرير، عمان، الأردن، ص 38.

² مرجع نفسه، ص 39.

قد كذب المساء عليه، أشهد أنني غطيته بالصمت

قرب البحر

أشهد أنني ودعته بين الندى والأشجار

وأريد أن أتقمص الأسوار

قد كذب النخيل عليه، أشهد أنه وجد الرصاصة

أنه أخفى الرصاصة"¹

يخبر "درويش" عن كذب المساء والنخيل وهما لا يكذبان بلسان المعيار ولغة النثر ولا بلغة العقل، والمعرفة بالمساء لا تجاوز بعداً زمنياً لآخر النهار وكذا شأن النخيل ذاك الشجر المثمر للثمر، فلما أسند لهما فعل الكذب انفجرت معانيها إلى المساء المفضي إلى السكن على اعتبار أنه آخر النهار الذي يمثل الحركة والمعاش ويمتد النخيل إلى جغرافية مكانية صحراوية أول ما تشير إليه بيئة العرب بدءاً بصحراء نجد، وكذا يحقل النخيل بكبرياء طوله على باقي صنوف الشجر وتثبته على أرضه على ضرب جذوره في أغوارها، وصبره على الريح والجفاف، فإن كذب المساء على الشاعر فينبغي ذلك أن المساء ما عاد بوابة للراحة والإستقرار وإن كذب النخيل فهو كذب لإخوة الشاعر من قومه، ثم إن هذا الإسناد يستفز خيال المتلقي حتى يتمثل عاطفة المكذوب عليه ويستشعر مرارة التجربة ولهذا تعد لغة الشعر لغة التصوير المكلف والخيال المتعلق الخلاق، إنها حركة تبدأ من السطح ثم تتسامى في الأعالي (أو تغوص في الأعماق، هي العبور من الثبات إلى الحركة والتجول، ومن المحدود إلى اللامحدود وهي الإنطلاق من القيد إلى التحرر ومنه لكنها تظل السبي الأمثل لتأليف جمال متكامل العلاقات.²

¹ محمود درويش، قصيدة "تلك صورتها وهذا انتحار العاشق"، ديوان، مج 2، ص 398.

² عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، 2009، دار جبرير، عمان، الأردن، ص 102.

هذا الإسناد في لغة الشعر الذي يصل ما لا يوصل بلغته الواقع والمنطق يحدث خرجا للمعتاد من التأليف وخرجاً عن المعمارية المعجمية وقد تعددت المصطلحات التي اطلقت على لغة الشعر قياساً بلغته الحقيقية فقيل: هي لغة الإنحراف أو لغة الخريف أو لغة التجار أو لغة التوتّر، والمقولة الشهيرة لـ"الرجائي" "أحسن الشعر أكذبه" تجعلها لغة الكذب، إن الغاية التي تحرك كل هذه المصطلحات المثيرة هي الكشف عن حقيقة تغطي اللغة الشعرية للحدود المألوفة والمعتادة في لغة الخطاب المباشر أو لغة النطق المحددة بقوالب صادقة الدلالة على الحادث والواقع.¹

يشير "درويش" إلى رؤيته للشعر من منطلق كونه قارئاً لنصوصه إذ يقول:

قل ما تشاء ضع النقاط على الحروف

ضع الحروف مع الحروف لتولد الكلمات

غامضة وواضحة وابتدئ الكلام

ضع الكلام على المجاز، ضع المجاز على

الخيال، ضع الخيال على تلفته البعيد

ضع البعيد على البعيد... سيولد الإيقاع

عند تشابك الصور الغريبة من لقاء

الواقعي مع الخيال المشاكس²

وهو في ذلك ينطلق في إنتاجه للنص من الجزء الظاهر إلى الكل المختفي، من الحرف إلى الكلمة فالكلام

بين الغموض والوضوح مشيراً إلى ثنائيات الشكل والمعنى، العقل والعاطفة، الحقيقة والمجاز وصولاً إلى الواقع

¹ عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، 2009، دار جبرير، عمان، الأردن، ص 102.

² محمود درويش، قصيدة "قل ما تشاء"، ديوان لا تعتذر عما فعلت، الأعمال الكاملة، م، س، ص، ص 99.

والخيال، كل ما سبق من ثنائيات يشكل مجتمعا مركز الحياة في النص إذ يتوحد الشكل والمعنى أو ينفصلان حسب القوة الإنسانية الداخلية المنتجة لهما، أعني الخيال الشعري والعقل العلمي... فإذا كان الأول يللمم العناصر المتشابهة والمتضاربة فيوحدها على أساس من الرؤيا المسيطرة لعظمة الإبداع... فإن الثاني يجزيها على أساس الفروق الدقيقة بينها، بل قد يسعى إلى التوسع في إيجاد هذه الفروق وإبراز جزئياتها الأكثر دقة.¹

وعلى هذا فإن التناول النقدي للنص الشعري يتباين في شقه العقلي المعرفي بين القراء على احتمال تباين ثقافتهم ومرجعياتهم المعرفية، كما يتوتر من دون شك شقه العاطفي الإنفعالي حتى عند القارئ نفسه ولهذا أن أمام القارئ المنتج هذا مهمة صعبة هي الكشف عن المعنى المستور المتولد من علاقات النص وتفاعلها داخل شبكة معقدة ومنظمة، ذلك لأن المعنى الشعري هو ما تعنيه القصيدة لقراءها على اختلاف درجة حساسيتهم به.²

هذا ما أراد محمود درويش قوله حين سأل عن لحظة التقائه بالجمهور فقال: "لا أستطيع أن أقول إن الناس في القاعة هم جمهور، إنهم مؤلفون مشاركون في عملية تحويل العلاقة بين القصيدة والقارئ إلى طقس (...). ما يحدث معي في القاعة هو نوع من الإحتفالية أنا أحتفي بالجمهور والجمهور يحتفي بي (...). لا أشعر بأنني أقرأ نصا شعريا مكتوبا بل أشعر بأنني أنا والناس نعيد إنتاج وكتابة هذا النص بشكل احتفائي أو مسرحي.³

فالشاعر كونه قارئاً لنصه أصاب بقوله عين مهمة المتلقي الذي يقع عليه عبء، إعادة كتابة النص وإنتاج معانيه أكثر من إيجادها بالحفر عنها كما أوضح ذلك الدكتور عبد القادر الرباعي في قوله: "والأقرب إلى المسألة: إنتاج المعاني ذلك لأن كلمة إيجاد قد تعني لبعضهم التفتيش عن معان محددة موجودة قبلا وإيجادها، أما كلمة إنتاج

¹ عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، 2009، دار جبرير، عمان، الأردن، ص 40.

² عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، 2009، دار جبرير، عمان، الأردن، ص 103.

³ هاني الخيزر، محمود درويش، رحلة عمر في دروب الشعر، دار خليش، الجزائر، ط 1، 2008، ص 46.

فتعني انفتاح القارئ على النص واستنباط المعاني التي توحى بها شبكة العلاقات الداخلية بين الكلمات والأشياء في ذلك النص.¹

إن علاقة الذات المتلقية بالنص علاقة لا تستقر على حال وإن أمكن استرجاع النص داخل الزمن كونه موجوداً ممكن إلا أنه على ماديته الشكلية يستغرق الذات المتلقية فيتحرر من قيد الزمان شأنه في ذلك شأن التجربة الإنسانية التي لا تتكرر وإن توافرت كل الحثيات المقترنة بها، ويصير النص الشعري ذاتياً على موضوعيته فالشعر يصوغ من الرؤيا فعلاً هو الشعر والقراءة تصوغ من الفعل رؤياً هي القراءة المنتجة، لذا فإن حياة النص مرتبطة بالقراءات الواعية المتنامية مع تنامي الأجيال والحضارات أو الثقافات المتجددة عبر العصور.²

¹ عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، 2009، دار جبرير، عمان، الأردن، ص 178.

² عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، 2009، دار جبرير، عمان، الأردن، ص 103.

المبحث الرابع: شعرية الإيقاع (الموسيقى الشعرية)

إن ما يميز العمل الأدبي الشعري عن النثري هو الإيقاع فهو ليس مجرد أصوات تنحصر في الوزن والقافية، وإنما هو يتجلى في الجانب الدلالي الذي يوعي بإيحائية القصيدة وفعاليتها فهو (معلم في طريقة إبداع الشعر، وعلى هذا يحق لكل شاعر أن يلتمس الحيل الفنية والدلالية التي تثرى قصيدته بالإيقاع الذي يعني نوعاً من التوازن والتوافق ولكن دون الإلتواء إلى رقابة تؤثر على اللغة).¹

فلا بد للشاعر أن يلتفت في قصيدته إلى الجانب الإيقاعي الذي يكسبها رونقا ورقعا في أذن السامع، لكن دون أن يبالغ في ذلك فيؤثر على لغته الشعرية. والإيقاع (يقوم على انسجام وتوافق حركي ونغمي يولد حركة منتظمة في اللغة التي تتخلله).²

وعموماً يمكن القول أن الإيقاع يمثل وسيلة تعبيرية يتخذها الشاعر بغية إيصال تجربته الشعرية وحالته النفسية وذلك من خلال حركات وأصوات يخللها قصيدته. وهذا ما لجأ إليه الشاعر "محمود درويش" في قصيدته التي بين أيدينا "ريتا والبندقية" فقد حقق شعرية الإيقاع بالعناصر التالية.

الوقفه بأنواعها

1. القافية

تعد القافية ركناً مهماً من أركان الشعر العربي لأنها تؤدي إلى وظيفة الربط بين الأبيات والأشطر في الشعر العمودي، وبين الأشطر في الشعر الحديث وقد لازمت القافية الشعر العربي على مر العصور، وكانت جزءاً من هندسة الصوتية التي تسهم في بناء دلالاته الداخلية، وهي تتشكل من (عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر

¹ المرجع نفسه، ص 43.

² عبد الرحمن بن القعود، في الإبداع والتلقي الشعر بخاصة، مجلة عالم الفكر، ع 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد، 25، 1997، ص 163.

أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة فواصل موسيقية يتوقع السامع تردها ويستمتع بمثل هذا التردد)¹ الكلمات (ريتا، سنتين، العسليّة والبندقية)، وهذا ما خلق سمفونية موسيقية ولدت دلالات إيجابية.

كما تلاحظ تكرار التاء المربوطة في المقاطع الثلاثة للقصيدة (البندقية، العسليّة، صورة كثيرة)، وهذا ما يعرف بالقوافي المتراسلة، فالبندقية تدل على الحرب، والعسيلة تدل الإعجاب والصورة تدل على الطبيعة. وفي مقاطع أخرى نجده يختار للقافية المتراسلة حرف الياء (فمي، دمي) الذي انسجم مع موقفه اتجاه الحياة عامة وحياته الشخصية بصفة، وهو يهدف بذلك إلى فسح المجال أمام الذات المتكلمة للتعبير عن مشاعرها النفسية الداخلية والتنفيس عما يجول بداخله من آناة وآهات.

وفي المقطع الثاني انتظمت بعض القواعد دلاليا على نحو متداخل، من مثل التقفية "الشفنتين" التي تتمثل دلالتها بلقطني (دمي وخمي) وهي تصب كلها في حقل دلالي واحد يرتبط بالمشاعر والأحاسيس العاطفية والجياشة للشاعر.

وهكذا شكلت القافية جانبا من جوانب الإيقاع في القصيدة "ريتا والبندقية" بدلالاتها التي تعكس ذاتية الشاعر بحضورها القوي الذي أضاف ترابطا بين مكونات النص الشعري سواء كان صوتيا أو دلاليا، كما حققت من الناحية الجمالية هندسة شكلية تميزت بها القصيدة.

2. الوقف

يعد نظام الوقفات من العناصر المشكلة للهندسة الصوتية التي تتمتع بها القصيدة من حيث إيقاعها وتركيبها، لأن السطر الشعري عندما يكون مكتملا صوتيا ودلاليا وهو ما نسميه الوقفة التي تعتبر (عنصرا مركزيا له

¹ محمد بينيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته التقليدية، ج 1، دار تويقال، الدار البيضاء، ط 2، 2001، ص 138.

وضعية المهيمنة على العناصر الأخرى) ، كما تعد (العنصر المهيمن في إعادة بناء البيت في الشعر المعاصر).¹

وللوقفة عدة انواع نذكر منها:

- الوقفة التامة.
- الوقفة التركيبية والدلالية.
- الوقفة الوزنية.
- وقفة البياض.

وفي قصيدة "ريتا والبندقية) نلاحظ حضور الوقفة التركيبية والدلالية، وغياب الوقفات الأخرى وتظهر في قول الشاعر "محمود درويش" آه ريتا (في المقطع الثاني والثالث).

فالوقفة الدلالية في هذين المقطعين تظهر من خلال وصف الشاعر لحالته العاطفية التي ولدت له آهات أراد أن يوصلها إلى القارئ.²

من حيث الإيقاع نلاحظ التزام قصائد درويش الأولى البحر الشعري، لكنه أخذ باحثا عن أشكال جديدة، فحلت التفعيلية العروضية محل البحر الشعري ثم لاحظنا تنوع موضوعاته في القصيدة الواحدة، وظهور السطر الشعري عنده، ثم البيت الشعري الذي يجري عداد غير محدود من التفعيلات، لا تنتهي إلا بإنتهاء المعنى.³

¹ المرجع نفسه، ص 109.

² محمد بينيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته التقليدية، المرجع نفسه، ص 138.

³ د. ناصر علي، جريدة الشرق الأوسط، الأربعاء 24 جمادى الأولى 1422 هـ، 15 أغسطس 2001، العدد 8296.

الفصل الثاني



المبحث الأول: الحرب

مما لا شك فيه أن الكلام عن الحرب مؤلم للقلب، فلم تكن العرب وليدة أحداثها بل كانت مرتقبة، وقد حرز منها الشعراء والكتاب والساسة الذين كان لديهم رؤية مستقبلية لاستشراق الأحداث قبل وقوعها. وليس من المصادفة تنبؤ "إبراهيم طوقات" 1905-1941، حيث قال:

تشيب لهولة سود النواحي أمامك أيها العربي يعرم
وسار حديثه بين الأفاصي مصيرك بأن يلمسه الأداني
لصاحبه ولا ضيف الخصاص¹ فلا رحب القضاء غدا بباحا

وقعت الحرب في 15 ماي 1948م بين اليهود الصهاينة والفلسطينيين، حيث كان الانتصار حليف اليهود إذ قاموا بطرد العرب من أرضهم، وقاموا بإعلان الدولة اليهودية في يوم انتهاء الإنتداب وكانوا قد اعدوا لهذا الشأن عدته.²

قامت إسرائيل بأخذ 56.47% من مساحة فلسطين، كما استولوا على 20.93% من الجزء المخصص للعرب، وقاموا بطرد أكثر من 900 ألف فلسطيني من أرضهم وبهذا أصبحوا لاجئين، تفرقوا على أماكن عديدة منها، قطاع غزة، ولبنان، ومصر، سوريا، العراق وغيرها، وبهذا تصبح القضية الفلسطينية من أشد ما ابتلى به العرب في تاريخهم الطويل على ما فيه من محن ومآس.³

كان لحرب 1948 آثار سلبية حيث قامت بالقضاء على كل ما هو فلسطيني أي كل ما هو عربي، حيث دمرت وشتت مدن وقرى فلسطينية نذكر منها "البروة" قرية الشاعر "محمود درويش"، حيث قتل عدد من أهلها ومنهم من بقي حيا، وكذلك فقدان الهوية التي كانت سببا في لجوئه إلى قرية "دير الأسد" رفقة عمه، حيث لم

¹ إبراهيم طوقان، ديوانه، ص 86.

² تقي الدين النبهاني، إنقاذ فلسطين، مطبعة ابن زيدون، دمشق، 1950م، ص 144.

³ قسطنطين زريق، معنى النكبة، دار العلم للملايين، 1948، ص 5.

يكن لديه الحق في الإقامة في موطنه، ولا جواز سفر لديه، ولا يحق له القول إن جنسيته فلسطينية يقول "محمود درويش" في قصيدته عن فقدان الهوية:

سجل!

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم... سيأتي بعد صيف!

فهل تغضب؟

سجل!

أنا عربي

واعمل مع رفاق الكدح في محجر

وأطفالي ثمانية¹

ونرى هنا أن "محمود درويش" المتكلم شعب بصيغته المفرد عربي في دولة إسرائيل المعادية للعرب، والشيء الذي أخلق الصهاينة هو النمو السكاني للعرب في فلسطين المحتلة، كذلك صيغة الخطاب بلهجة الأمر (سجل)، والإستفهام الإستفزازي (فهل تغضب؟) والأمر والإستفهام يتصلان بالتحدي الخفي، وهو ما يمكن تسميته حرب الهوية، وقد جعله "محمود درويش" لازمة ختامية يتم تكرارها أربع مرات في المقاطع الخمسة للقصيدة، وهذا ما يساهم في تثبيت الحضور الإنساني والتاريخي المتنوع من خلال التأكيد على ارتباطه بجذوره العميقة في التاريخ، وتأكيد أصالة الإنتساب إلى عناصر الطبيعة، وغرس أوتاره في الأرض، يقول:

¹ محمود درويش، ديوانه، المجلد الأول، ص 72.

سجل!

أنا عربي

أنا اسم¹ بلا لقب

صبور في بلاد كل ما فيها

يعيش بفورة الغضب

جذوري...

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

وقبل ترعرع العشب²

قصيدة "محمود درويش" الجميلة (جواز السفر) التي ربط فيها بينه وبين طبيعة بلاده بما فيها من مطر وقمر

وسنابل وعصافير وشجر ومناديل ودموع ومطارات، مشهد مجسد عمق المسألة، يقول فيها:

لم يعرفوني في الظلال التي

تمتص لوني في جواز السفر

وكان جرحي عندهم معرضا

لسائح يعشق جمع الصور

لم يعرفوني، آه... لا تركي

¹ محمود درويش، ديوانه، المجلد الأول، ص 72.

2

كفي بلا شمس

لأن الشجر يعرفني

تعرفني كل أغاني المطر

لا تتركني شاحبا كالقمر!

كل العصافير التي لاحقت

كفي على باب المطار البعيد

كل حقول القمح

كل السجون

كل القبور البيض

كل المناديل التي لوحت

كل العيون

كانت معي، لكنهم

قد أسقطوها من جواز السفر¹

من مخلفات الحرب كذلك اللجوء والمعاناة الذي أتعب "محمود درويش" في حياته، لقد وقف "درويش" في تبليغ رسالته الإنسانية النبيلة التي تتمثل في معاناة اللاجئ الفلسطيني من نزوح ومكابدة، يقول من قصيدة بعنوان "كتاب على ضوء بندقيّة"

كان محمود صديقا طيب القلب

¹ محمود درويش، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، طبعة 12، 1987، ص 356، 357.

خجولا كان، لا يطلب منها

غير أن تفهم أن اللاجئين

أمة تشعر بالبرد

وبالشوق إلى أرض سلبية

وحببا صار فيما بعد

لكن الشبايك التي يفتحها

في آخر الليل... رهبة¹

لم يكن شاعرنا رغم المعاناة سوداويا أو متشاءما في شعره، فلم تزدده الحرب والمعاناة والألم إلى صلابة وضمودا وتحديا، ومن الآثار الإيجابية للحرب نذكر البعض منها كالتمسك بالأرض إذ ارتبط حبه للوطن وبكل ما له علاقة بما من دوال ومدلولات كالحجر والصخر والتراب والرمل والماء... وغيرها.

وقد تجلى هذا في قصيدته المسماة "يوميات جرح فلسطيني"

يقول في المقطع الحادي عشر:

هذه الأرض التي تمتص جلد الشهداء

تعد الصيف بقمح وكواكب

فاعبديها!

نحن في أحشائها ملح وماء

وعلى أحضانها جرح... يحارب²

¹ محمود درويش، الأعمال الشعرية، المجلد الأول، ص 73.

² نفس المرجع السابق، ص 75

ويقول في المقطع الرابع عشر:

آه يا جرحي المكابر

وطني ليس حقيقة

وأنا لست مسافر

إنني العاشق والأرض والحببية!

ويقول في المقطع السابع عشر:

وترعرعت على الجرح، وما قلت لأمي

ما الذي يجعلها في الليل خيمة

أنا ما ضعيت على الجرح، وما قلت لأمي

ولذا أبصرت في أسمائها

مليون نجمة

ويقول في المقطع الثالث والعشرين:

خيمة الصيف التي... يحملها ظهر الهزيمة

علقت نسل السلاطين

على جبل السراب

وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمة

هل أنا ازددت التصاقا بالتراب!¹

وإلى جانب هذا التمسك بالأرض نذكر الصمود والمقاومة الناتج من الشوق والحنين الذي نلمسه في قصائد "محمود درويش" التي تمثل الآلام والمعاناة الفلسطينية، وهذا ما أدى إلى غرس روح الصمود والمقاومة والتحدي أمام وحشية الصهاينة، يقول شاعرنا في المقطع الخامس من قصيدته (بطاقة هوية):

سجل!

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

وأرض كنت أخلعها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا... ولكن أحفادي

سوى هذه الصخور

فهل ستأخذها

إذن سجل برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على احد

ولكنني... إذا ما جعت

أكل لحم مغتصبي

¹ محمود درويش، نفس المرجع السابق، ص 77

حذار... حذار... من جوعي

ومن غضبي!!¹

ففي هذه القصيدة استطاع الشاعر الجمع بين البراءة والخطورة من خلال أوضاع التعبير، انتقل بين المخاطب والمتكلم بمنطلق إنساني حيث لا أحد يستطيع إنكاره، ويؤكد هناك أن الفلسطينيين كسنايل القمح لا تنتهي، كلما ماتت سنبله أخرجت سنايل، فهو باق مهما تعرض لأنواع العذاب من طرد وقتل وتنكيل.²

¹ محمود درويش، نفس المرجع السابق، ص78

² نفس المرجع السابق، ص81

المبحث الثاني: الحرية

هنا نجد تفاعل الشاعر بانتصار الحق الفلسطيني بإذن المولى عز وجل مهما بلغت وحشية الصهاينة وتعتهم عاجلا أم آجلا إن شاء الله.

يتناول "محمود درويش" رموزا متعلقة بتاريخ اليهود ليكسبها بعدا فلسطينيا كما جاء في مقطوعته السابعة عشر من ديوان أحبك ولا احبك، يقول فيها:

أطفال (بابل)

يا مواليد (السلاسل)

سيعودون إلى القدس قريبا

وقريبا تكبرون

وقريبا تحصدون القمح من ذاكرة الماضي

وقريبا يصبح الدمع سنابل

آه يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريبا

هللوا

هللوا.¹

¹ محمود درويش، ديوان أحبك ولا أحبك، المجلد الأول، ص 400.

ففي قصيدة "المزمور العادي والخمسين بعد المائة" نجد "محمود درويش" مواصلاً استلهام الرموز التراثية اليهودية ليوطنها في خدمة الصمود والمقاومة في فلسطين، فهنا نجد الصليب مقاتل إلى جانب الهلال متصديان للعدو الصهيوني الظالم، يقول شاعرنا:

صوت حربي قادم من صليل (السلاسل)

(أورشليم) التي عصرت كل أسمائها

في دمي

و(المزامير) صارت حجارة

رجموني بها

(أورشليم) التي أخذت شكل زيتونة

دامية

صار جلدي حذاء

للأساطير والأنبياء

(بابلي) أنت طوبي لمن جاوز الليلة الآتية

وأنا فيك كوكب

يسقط البعد في ليل (بابل)

وصليبي يقاتل

(هللوياء)...

(هللوياء)...

1... (هللوا)

ولا يزال "محمود درويش" مستلهما رموزا من التراث اليهودي لها علاقة بالأرض الفلسطينية المقدسة مثل (هيكل القدس)، (أشعيا)، (أورشليم) ليجعلها تقف إلى جانب الحق الفلسطيني. يقول "محمود درويش" في قصيدة (مديح الظل العالي):

كم أحبك، كم أحبك، كم سنة

أعطيتني وأخذت عمري، كم سنة

وأنا أسمىك الوداع، ولا أودع غير نفسي، كم سنة

وعدوك بالآتي، وعين آثك، وآثك العينين إلى السفينة، كم سنة

لم تذكرني قرطاج؟

كنا هواء ما لحاكي تفتحي ريشك للماضي

وعدوك باللغة الجديدة، استعادوا الميتين مع الجريمة

هل أنا ألفت وباء للكتابة أم لتفجير اللهب

كم سنة

.....

أنادي أشعيا: أخرج من الكتب القديمة مثلما خرجوا أزرقة و (أورشليمهم).

تعلق اللحم

الفلسطيني فوق مطالع العهد القديم

¹ محمود درويش، ديوان أحبك ولا أحبك، المجلد الأول.

وتدعي أن الضحية لم تغير جلدها

يا أشعيا... لا ترث

بل أهج المدينة كي أحبك مرتين

وأعلن التقوى

وأغفر لليهودي الصبي بكاءه¹

ففي هذه الأبيات نرى شاعرنا يستحضر شخصية يهودية مناصرة للحق، تنبأ بدمار اليهود عقابا لما ارتكبه من فساد أخلاقي وجرائم، وهذا ما حصل في السبب البابلي، وكأنه يدعوهم للوقوف مرة ثانية مع الحق الفلسطيني لتحرير المدينة المقدسة الإسرائيلية وجرائمهم التي لا يقبلها بني عظيم مثل (أشعيا).

ونجد هناك مؤيدين بين الصهاينة، فهذا العالم الرياضي "أنشتاين" يصرح في يناير 1939 بقوله:

"إنني من أنصار الصهيونية، ولا أدري لماذا يطالب الصهيونيون بإنشاء دولة يهودية".²

كذلك نجد معارضين لهذا الرأي، وهنا نرى الدكتور "ماجنسي" عميد الجامعة العبرية الذي عارض في سنة

1948م تأسيس دولة يهودية لا يشترك فيها العربي أهل فلسطين قائلا:

"إن معرفتي بطبيعة اليهودية تجعلني أشك في وجوب قيام دولة إسرائيل على حدود مسلمة، ومثل هذه الدولة تكون إلا مؤقتة لا تدوم".³

ونرجو من المولى عز وجل، أن تزول هذه الدولة الصهيونية الوحشية بإذن المولى عز وجل، طال الزمن أم

قصر.

¹ محمود درويش، ديوان أحبك ولا أحبك، المجلد الأول، ص 291.

² د. فؤاد السلطان، القدس في الشعر العربي المعاصر، مكتبة مدلولي، القاهرة، 1999م، ص 19.

³ المرجع السابق، ص 19.

المبحث الثالث: الحب

محمود درويش رجل خجول، رغم ما يصدر من صراحة وقسوة أحيانا في تعامله مع غير الأذكياء والمتعقلين والأدعياء، الموجودين في مسرح الحياة والثقافة، وفي نفس الوقت هو رجل محب، وعن اختفاء هذا الحب نجد ظهور علاماته في سلوك بسيط وابتسامة مشعة، ولفته منعشة.

ونجد أن علاقته بأمة مشهورة في قصائده التي غنى معظمها "مارسيل خليفة" مثال ذلك "أحن إلى قهوة أمي"¹ يقول "مارسيل":

اليوم أنا الذي حملت شعره وسافرت به بعيدا، أنا الذي حمل ترابه وحنينه إلى أمه و"عريبا" وزيتونة وكرمله، هل تصدقوني إن قلت لكم: إن الشعراء لا يموتون، لكنهم يتظاهرون بالموت؟.

كان محمود درويش أبي النفس في قوله وفعله، وكان كريما سخيا، لم يعنيه المال ولا الملكيات الخاصة تاركا أشياء في المكان الذي يغادره إلى منفى آخر.

لم يكون لـ "محمود درويش" أسرة، وينجب أطفالا، ربما لأنه غير باقي شاعرا وهو ساعي بريد التفاصيل اليومية، وربما المرأة التي كان يتخيلها ويكوئها، لم تأت بعد.

أما الحياة الخاصة لـ "محمود درويش" فهي غير واضحة، لاسيما علاقات الحب، التي لم تظهر كثيرا في شعره كما عند غيره من الشعراء.²

لكن قصيدة "ريتا" بينت تجربة حب "محمود درويش" لفتاة يهودية، حيث كان الصراع حائلا بينهما وهذا راجع لفلسطينية الشاعر ويهودية الفتاة، يقول:

بين ريتا وعيوني بندقية

¹ عادل محمود، محمود درويش، الجوهرة المؤلمة، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية لكتاب منشورات الطفل، دمشق، ع 1، 2011، ص 54.

² نفس المرجع السابق، ص 56

والذي يعرف ريتا ينحني

ويصلي

لإله في العيون العسلية

وأنا قبلت ريتا عندما كانت صغيرة

وأنا أذكر كيف التصقت بي

وغطت ساعدي أحلى ضفيرة

وأنا اذكر ريتا

مثلما يذكر عصفور غديره

آه... ريتا

بيننا مليون عصفور وصورة

ومواعيد كثيرة

أطلقت نارا عليها ببندقية.¹

أجرى "محمود درويش" مقابلة مع جريدة "الحياة" حيث أجاب عن الحب:

- هل يضيرك أن تسمى مثلاً شاعر حب وليس شاعر غزل طبعاً؟

أجاب "محمود درويش" قائلاً: أتمنى أن أكون شاعر حب، وأن تسمح لي ظروف التاريخ أن أكون شاعر حب،

لأن في نظرة الحب هو أجمل ما يكتب من شعر، والحب لا ينتهي، وانه ضروري وشعر نضال وابن مرحلة، ولكنه

¹ عادل محمود، محمود درويش، نفس المرجع السابق، ص 58

غير قادر على الاستمراره الصراع عملية مستمرة، وهو يأخذ أشكالاً متعددة في معناه الإيجابي، منها صراع

الإنسان مع قلبه، نداء الغريزة، حق الرغبة في التعبير عن نفسها، وصراع العقل والقلب.¹

- هل عشت قصص حب وخيبات حقيقية؟ وهل كتبت إنطلاقاً من تجارب عشق حية؟

قال: كما ما أكتبه في الحب أم في سواه ناتج عن تجارب حية.

- هل هناك إمراة معينة كتبت عنها أو لها؟

- قال: ربما ولكن ليس كما يعبر عنها شعري، لماذا؟

- لأنك عند بداية كتابتك قصيدة حب لا يمكنك الكتابة عن المطلق في الحب، انت تكتب عن إمراة معينة،

لكن الكتابة آخذة مجرى من سياق حادثة الحب، فهنالك نلاحظ إختلاط ملامح المراه التي تكتب عنها ملامح

امراهة أو نسوة أخريات، كذلك بملامح الشعر والتراب والماء، فالنص نجده دائماً ينتقل من المحدد إلى الكلي، اما ان

يكون لدي إمراة مثل "إلسا" حبيبة الشاعر "أراغون" فهذا صعب، ليس لدي "إلسا"، هذا مع اعتقاد بأن "إلسا"

كانت ذريعة الشاعر "أراغون"²، ويذكر "درويش" أجمل قصيدة حب.

أنغام عيناك أن انتظرتك طويلا

كما انتظر الصيف طائر

ونمت ... كنوم المهاجر

فعين تنام لتصحو... عين طويلا

وتبكي على اختها

حبيبان نحن، إلى أن ينام القمر

¹ عادل محمود، محمود درويش، نفس المرجع السابق، ص60

² عادل محمود، محمود درويش، نفس المرجع السابق، ص61

ويعلم أن العناق، وأن القبل

طعام ليالي الغزل

وأن الصباح ينادي خطاي لكي تستمر

على الدرب يوماً جديداً.¹

¹ عادل محمود، محمود درويش، نفس المرجع السابق، ص 63

المبحث الرابع: الموت والحياة

تشغل الموت تفكير الإنسان، وأرق باله على مر العصور، كما أثار في أعماق نفسه تساؤلات واستفسارات عن جدلية الموت والحياة، وسر الفناء والزوال، حيث عبرت عن هذا الموضوع ثقافات الشعب وفلسفاتهما وأساطيرها بمستويات متباينة، وذلك بنقلها لتصورات حول طبيعة العدم والبقاء، فكان الشعر واحدا من الفنون الإبداعية التي نقلت هذه التجربة، ولما كان "درويش" واحدا من الشعراء الذين عانوا الم المنفى والغربة انعكس ذلك على شعره، حضور ذلك الصراع المحتدم بين الذات المتكلمة والموت، وتعتبر تجربة الموت عميقة ومؤثرة عند شاعرنا، وهذا ما جعله يعبر عنها بصيغ متفاوتة التعبير، حيث يقول:

أيها الموت انتظر خارج الأرض

انتظرنى في بلاد ريشما أنهي

حديثا عابرا مع ما تبقى من حياتي

قرب غيمتك انتظرنى ريشما أنهي

قراءة طرفة بن العبد يغريني

الوجوديون باستنزاف كل هنيهة

حرية، وعدالة، ونبيل آلهة

فيا موت انتظرنى، ريشما أنهي

تدابير الجنازة في الربيع الهش¹

¹ محمود درويش، الأعمال الجديدة، ص 481.

ولتجربة الموت عند "محمود درويش" صدق وعمق يظهرها الحوار الذي أجراه مع الموت، ويرى فيه طرفاً حياً، حين طلب منه الإنتظار وبغية تسوية وضعيته، كما يوضح هذا المقطع وصية الشاعر الأخيرة من خلال استعمال الأفعال: انتظر، أمني، الدالة على أن هناك أمور عالقة لا بد من إنهاؤها ولا يقف عند هذا الحد بل تستمر وصيته التي تتصف بالأمل، حيث يقول:

لا تضعوا على قبري البنفسج، فهو

زهر المحبطين يذكر الموت بموت

الحب قبل أوانه وضعوا على

التابوت سبع سنابل خضراء إن

وجدت، وبعض شقائق النعمان إن

وجدت¹

كما نجده يخاطب الموت بأن يعطيه فرصة حتى ينهي ترتيب ما تبقى من لأمر:

أيها الموت انتظر حتى أعد

حقيقتي، فرشاة أسناني، وصابوني

وماكنة الحلاقة، والكولونيا والشباب²

وفي سياق مخاطبته للموت بالإنتظار الذي يمثل له القسوة والمرارة نجده يدعو إلى علاقة ودية بينهما، يقول:

فلتكن العلاقة

بيننا ودية وصريحة: لك أنت

¹ المصدر السابق، ص 482.

² المصدر السابق، ص 482، 483.

مالك من حياتي حين أملاًها..

ولي منك التأمل في الكواكب

لم يمت أحد تماماً: تلك أرواح

تغير شكلها ومقامها¹

إن الشاعر مشغول بالموت الذي أوقد نفسه إحساساً بالقلق لدرجة أنه أصبح يخاطبه، ويدعوه إلى إقامة علاقة حية بينهما ليتمكن من إكمال مساره، فكما تحتال اللغة بأساليب المجازية والإنزياحية على الواقع الإبداعي، كذلك يستخدم الشاعر عبارات مجازية بغية وصوله إلى هدفه المنشود، وهذا ما يعكس وظيفة اللغة التي لا تكمن في "توصيل المعلومات والأفكار، بل إنهار من يتفاعل فيه شعور الشاعر مع الموضوعات الخارجية، يتولد منها معا شكل جديد، هما العمل الشعري".²

وتستمر مخاطبة الموت في القصيدة إذ يقول:

ويا أيها الموت إلتبس واجلس

على بلور أيامي، كأنك واحد منا

أصدقائي الدائمين، كأنك المنفي بين

الكائنات، ووحده المنفي، لا تحيا

حياتك، ما حياتك غير موتي، لا

تعيش ولا تموت، وتخطف الأطفال

¹ محمود درويش، الأعمال الجديدة، ص 483، 484.

² محمد شفيع السيد، قراءة الشعر وبناء، الدلالة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2008، ص 08.

من عطش الحليب إلى الحليب¹

تعبّر الصورة عن مدى عمق تجربة الشاعر وهو يصارع لحظات الموت حيث نقل هذا المشهد بلغة شعرية تتسم بالإيحائية مبنية على تبادل المدركات وذلك "بأن تكتسب الماديات صفات المعنويات، أو المعنويات صفات الماديات"²، والذي حصل على مستوى المقطع أن تخذ الموت وهو شيء معنوية صفة مادية من خلال الفعل "التبس واجلس" وهذا ما يسمى بالتحسيد، وفي نفس الوقت جعل الصورة تحيا في ذهن المتلقي، وهذا ما يفسر اعتماده على الصورة الحركية أو الصورة المشهدية التي عملت على تكثيف الموقف الشعوري، وايصال الرؤية الشعرية للمتلقى نابضة، وهذا ما حقق للجدارية جانبا من الجمالية.

وقد أورد الشاعر كذلك الموت بصيغة النداء، وهذه الطبيعة تحمل نبرة استخدمها الشاعر للتعبير عن موقفه، كما تكشف عن قوته وتجلده لأن الموت عنده مادي أكثر منه معنوي. ينظر إليه نظرة المتفائل المنتصر ويأبى الخضوع له، يقول:

يا موتنا! خذنا إليك على طريقتنا، فقد نتعلم

الإشراق...

لا شمس ولا قمر علي

تركت ظلي عالقا غصون عوسجة

فخف بي المكان

وطار بي روعي الشرود³

كما تتجلى صورة الموت في الإستفهام والإستفسار عن طبيعته، حيث يقول:

¹ محمود درويش، المصدر السابق، ص 489.

² إيمان محمد أمين، خضر الكيلاني، بدر شاكب السياب، دراسة أسلوبية لشعره.

³ محمود درويش، الأعمال الجديدة، ص 469.

يا موت هل هذا هو التاريخ
صنوك أو عدوك، صاعدا ما بين
هاويتين؟ قد تبني الحمامة عشها
وتبيض في فوذ الحديد، وربما ينمو
نبات الشيح في عجالات مركبة محطمة
فماذا يفعل التاريخ عندما تتزوج الأرض السماء
وتذرف المطر المقدس؟¹

جاءت صورة الموت في هذا المقطع معبرة عن السلام من خلال توظيفه للفظة "الحمامة"، ودالة على الخصب والتناسل من خلال توظيفه للفعل "تتزوج"، ودالة على النماء من خلال ما تذرفه المطر على الأرض المقدسة، وهذه العناصر تأتي مجتمعة للتعبير عن الصورة الكلية التي يعتبر الرمز واحدا من مكوناتها باعتبارها، وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصب على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة.²

ومن خلال ما تقدم عن هذه الصيغة الندائية التي استخدمها الشاعر كآلية يخاطب بها الموت، نستطيع القول إن جمالية هذه الصورة تظهر في توظيفه لأسلوب النداء المتمثل بالأداة التي لم تأت اعتبارا، وإنما جاءت لغرض أراد به تبيان موقفه من الموت، كما جاءت هذه الأداة متمتعة بقيم أسلوبية عملت على تشكيل الصورة الشعرية وهندستها، كما تجسدت وظيفتها في لفت انتباه القارئ.

¹ علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2008، ص 104.

² محمود درويش، الأعمال الجديدة، ص 480.

والموت بصيغة أريد ان أحيا تبينت هذه الصيغة أنه على وشك النهاية، أو أنه مات ويطلب العودة من خلال الفعلين "أريد" و"أحيا" اللذان يدلان على رفضه للموت، لأنه لم يمه ما أسند له من مهام ففي كل مرة يلح على الحياة بهذه الصيغة، ولكن كل صيغة يعطيها بعدا غير البعد الذي تتميز به الأخرى، لذلك جعل من الموت المحور الذي قامت عليه قصيدته، يقول:

في المقام الأول:

وأريد أن أحيا

فلي عمل على ظهر السفينة، لا

لأنقذ طائرا من جوعنا أو من

دوار البحر، بل لأشاهد الطوفان

عن كتب: وماذا بعد؟ وماذا

يفعل الناجون بالأرض العتيقة؟

وفي المقام الثاني نجده يقول:

وأنا أريد، أريد أن أحيا

فلي عمل على جغرافيا البركان

من أيام لوط إلى قيامة هيروشيما

والبيان هو البيان¹

¹ محمود درويش، الأعمال الجديدة، المرجع السابق، ص 487.

أما في المقام الثالث يقول:

وأنا أريد، أريد أن أحيأ، وأن

أنساك... أن أنسى علاقتنا الطويلة

لا لشيء، بل لأقرأ ما تدونه

السموات البعيدة من رسائل¹

نميز في هذه المقاطع ثلاث صور، كل صورة تختلف عن الأخرى، وفي نفس الوقت تعتبر مفتاحاً للدخول إلى الثانية وإلى الثالثة، المقطع الأول عبارة عن صورة رمزية قصد بها "الوطن" والسفينة جاءت لتدل على عدم الثبات في مكان واحد مثلها مثل الأرض التي تركها تعاني من اللاستقرار والإضطراب، بينما الصورة الثانية وأن ابتدأت بالفعل نفسه الذي جاءت به الصورة الأولى إلا أنها لا تحمل الدلالة ذاتها، وهذا ما يوضحه تكرار الفعل "أريد" الذي يدل على التأكيد وعدم الخضوع، أما فيما يخص الصورة الثالثة جاءت معبرة عن الإرادة ومثلما استخدم هذه الصبغ التي عتبرها عن الموت بصريح العبارة سواء باستخدامه الفعل أو الإسم فإننا نجد أنه يتحدث عنه بصبغ أخرى تخيل على مفهومه مثل: العدم، الغياب، البعث، القيامة، المقبرة، الكفن يقول:

سأصير يوماً طائراً، وأسل من عدمي

وجودي كلما اعترف الجناحان

اقتربت من الحقيقة وانبعثت من الرماد

أنا الغياب. أنا السماوي

الطريد²

¹ محمود درويش، المصدر السابق، ص 491.

² محمود درويش، الأعمال الجديدة، ص 444، 445.

أما فيما يخص حديثه عن الكفن والمقبرة، يقول:

يا أبانا الذي أخطأ المقبرة!

رأيت رفاقي الثلاثة وهم

يخيطون لي كفنا

بخيوط الذهب¹

كما عبر عن مفهومه للموت بمصطلح القيامة، يقول:

من أنت يا أنا؟ في الطريق

إثنان نحن، وفي القيامة واحد

خذني إلى ضوء الثلاثي كي أرى

صيرورتي في صورتي الأخرى²

تخيل هذه المصطلحات على مفهوم الموت عند الشاعر الذي يعد الموضوع المهيمن الذي شكلته جداريته،

كما لم يقتصر على مثل هذه المصطلحات بل جاءت كلمات أخرى في سياق حديثه تدل على الموت مثل:

الفناء، السراب، التلاشي، التابوت، الجنازة، النهاية، الرحيل...

وما يمكننا قوله عن هذه الصور التي وظفها "درويش" للحديث عن الموت أنه في كل مرة كان صامدا

وتمسكا بموقفه إتجاهه، وهذه القوة التي تلازمه لم تأت من العدم بل جاءت نتيجة مكابדתه لأزمات ومعضلات

¹ محمود درويش، الأعمال الجديدة، ص 462، 463.

² المصدر نفسه، ص 476.

لذلك، كلما ضاق الخناق عليه تجدد وازداد اشتعالا، وتوجهها، فالضغط لا يقتله وإنما يجيبه، والمصاعب لا تسد

عليه الطريق، وإنما تفتح أمامه سبلا واسعة عريضة.¹

¹ رجاء النقاش، شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، د ط، 1971، ص 176.

الفصل الثالث



ارتبط حب "محمود درويش" للوطن بحبه للمرأة، باعتبارها المعادل الموضوعي للأرض، فغدا الوطن حبيبته وأما وعذراء، وإمراة من حليب البلبيل.

وحول رمز المرأة في الشعر يقول "د. ناصر" ولما استخدم هذا الرمز في القصيدة التقليدية ضميراً المؤنث في مخاطبة الوطن بطريقة مباشرة، أما في القصيدة المعاصرة، فقد ابتعد هذا الرمز عن التقرير، وأصبح الشعراء يصفون الوطن بكل الصفات التي لا يمكن ان تمتلكها أو تتصف بها سوى المرأة.¹

وفي قراءة شعر "محمود درويش" نكشف أن صورة المرأة أصبحت ممثلة لديه ملحماً آخر من ملامح شعره، عدا القصائد الوطنية المقاومة، يبدي فيها الإحتفاء الأنيق بالأنوثة في أسلوب غال من الابتدال والتغزل المصطلح.² وأخذت المرأة في القصائد الدورشية أشكالاً متعددة: المرأة والوطن والأرض، المرأة الأم، المرأة الحبيبة والمرأة الأخت.

¹ www. Aljazera.net

² حيدر بيضون، محمود درويش، شاعر الأرض المحتلة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ص 78.

المبحث الأول: المرأة الوطن

فهناك يختلط الأمر على المتلقي أثناء تعامله مع النصوص، بحيث لا يستطيع التعريف بين عاطفة الحب نحو الفتاة أو الأم، وبين عاطفة الحب نحو الأرض والوطن، يقول "محمود درويش":

وطني ليس حقيبة

وأنا لست مسافرا

إنني العاشق والأرض حبيبة¹

وفي قصيدة (موت آخر وأحبك) يصرح الشاعر بجمال الوطن وحبه الكبير له:

وكيف أقول أحبك؟

كيف تحاول خمس حواس مقابلة المعجزة

وعيناك معجزتان

تكونين دائمة عين يخطفني الموج

عند نهاية صدرك يبتدئ البحر

ينقسم الكون هذا المساء إلى اثنين:

أنت ومركبة الأرض

من أين أجمع صوت الجهات لأصرخ

إني أحبك²

¹ محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993، ص 512.

² محمد صلاح، محاضرة المرأة في شعر محمود درويش، من طرف أبو وطن، غزة، الأحد 29 مارس 2009، 9.35 pm.

فعملية التمازج بين المرأة والوطن هي ظاهرة بارزة عند الشعراء المحدثين لكن شاعرنا عمق من عملية

التمازج.

حيث يقول:

الأرض أم أنت عندي أم أنتما توأمان

من مد للشمس زندي الأرض أم مقلتان

سيان سيان

إذا خسرت الصديقة فقدت طعام السنابل

وإن فقدت الحديقة ضيعت عطر الجداول

وضاع حلم الحقيقة¹

فهنا نجد أن الشاعر رسم ملامح الوطن في شعره كما يرسم المرأة محبوبته دون الشعور بمفارقة بينهما.

يقول:

فلسطينية العينين والوشم، فلسطينية الاسم

فلسطينية الأعلام والهيم، فلسطينية المنديل والقدمين والجسم

فلسطينية الكلمات والصمت، فلسطينية الصوت

فلسطينية الميلاد والموت

حملتك في دفاتري القديمة

نار أشعاري

¹ محمود درويش، المصدر السابق، ص 551.

حملتك زاد أشعاري

وباسمك صمت في الوديان

خيول الروم أعرفها، وإن يتبذل الميدان

"سأكتب جملة أعلى من الشهداء والقتل

فلسطينية كانت ولم تزل.¹

فالتراث الإنساني تمتد فيه عملية التمازج بين المرأة والوطن، لاشتراكهما في نقاط تشابه فكلتاها رمز للنماء والحياة، وبينهما البدء الإنساني يتم بالخروج من رحم المرأة فإن المنتهى الإنساني يكون نحو لا في رحم الأرض، وهما الوعاء الذي تلقي الطبيعة فيه بذورها.²

فتجربة "محمود درويش" كانت معتمدة على ثنائية المرأة والأرض وتقديسهما باعتبارهما مصدرين للحياة، فهذا التقديس دفع الشاعر للتغني بخطاب المرأة في تقديس أرضه، كما تعلم أن فلسطين مستباحة من قبل الصهاينة إلا أنها كانت مقدسة عنده، فالوسيلة التي تجلت في مقاومة هذا الإنتهاك هي على مستوى اللغة عندما يمزج بينهما... بعلم أن المرأة تظل عفتها وعرضها بعيدا عن أي في غرف الإنسان العربي.³

فواد المرأة في المجتمع الجاهلي ليس احتقارا لها أو تقليلا من شأنها في المجتمع، بل هو حفاظ على قدستها للبقاء في منأى عن الإنتهاك العرضي، فقيمة الحب العذري علت على قيمة الحب الصريح.⁴

¹ محمد صلاح أبو حميدة، المصدر السابق.

² محمد صلاح أبو حميدة، المصدر نفسه.

³ محمد صلاح أبو حميدة، المصدر نفسه.

⁴ محمد صلاح أبو حميدة، المصدر نفسه.

المرأة عند "درويش" مقدسة لأنها تمثل وطنه الذي لم يستبح بعد، ولذا نجده يلجأ إليها عند شعوره بالغياب وعدم القدرة على العودة.¹

¹ محمد صلاح أبو حميدة، المصدر نفسه.

المبحث الثاني: المرأة الأم

يعتبر هذا العنصر الأهم في شعر "محمود درويش" وابداعاته الشعرية لمكانته العليا في نفسه، إذ كانت علاقته بأمه علاقة تفيض بالحب والمشاعر والأحاسيس فعلاقته بأمه من خلال شعره تفوق بأبيه وخطوته وأخواته، ففي سن الرابعة عشر من عمره، أودع في السجن حيث شعر بحاجته إلى دفء الأم وحنانها في لحظات مشبعة بالحقد والكراهية التي عاشها في سجن المحتل.¹

ويعتقد أن "محمود درويش" استطاع تحقيق المعادلة الصعبة المستعصية على العديد من الشعراء وهي متمثلة في اقتران البساطة بالعمق، واندغام السهولة في الفنية العالية، وتحقيق الإستجابة لذوق القارئ العادي والمتلقي من النخبة المثقفة، إلى المبدع الموهوب يستطيع فعل ذلك.

أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي

وتكبر في الطفولة

يوما على صدد يوم

أعشق عمري لأنني

إذ مت

أخجل من دمع أمي

خذيبي إذ عدت يوما

¹ محمد صلاح، محاضرة المرأة في شعر محمود درويش، من طرف أبو وطن، غزة، الأحد 29 مارس 2009، 9.35 pm.

وشاحا لهدبك

وغطي عظامي بعشب¹

تعمد من ظهر كعبك

وشدي وثاقي

بخصلة شعر

بخيط يلوح في ذيل ثوبك

عساي أصير إلها

إلها أصير

إذا ما لمست قرارة قلبك!

ضعيني، إذا ما رجعت

وقودا بتنور نارك...

وحبل غسيل على سطح دارك

لأنني فقدت الوقوف

بدون صلاة نهارك

هرمت فردي نجوم الطفولة

حتى أشارك

صغار العصفير

¹ محمد حجاجي: "إلى أمي وجمالية الإنسياب في البساطة"، (www. zizalley.com).

درب الرجوع...

لعش انتظارك¹

يقول محمود درويش:

واليا سميت اسم أمي: قهوة الصبح

الرغيف الساخن، النهر الجنوني، والأغاني

حيث تتكى البيوت على المساء

أسماء أمي²

ويقول في قصيدة أخرى

أماه ... يا أماه

لمن كتبت هذه الأوراق

أين بريد ذاهب يحمل؟

سرت طريق البر والبحار والآفاق

وأنت يا أماه³

ويقول كذلك:

أمي تعد أصابعي العشرين عن بعد، تمشطني بعضلة شعرها الذهبي

¹ موقع أدب: www.adab.com

² محمد حجاجي، المرجع السابق، نفسه.

³ محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993، ص 566.

تبحث في ثيابي الداخلية عن نساء أجنبيات، وترفو جوربي المقطوع

لم أكبر على يدها كما شئنا أنا وهي، افترقنا عند منحدر الرغام¹

إن الحديث عن الأم بهذا الشكل هو حنين إلى الوطن، وأيام الطفولة الحلوة التي قضاها في صغره، فالأم عنده تعني الحب المفقود والوطن المسلوب الجريح. فمن أول الملاحظات حول هذه القصيدة إلى أمي أن معجمها ملتقط من جزيفات الحياة اليومية الفلسطينية الحميمة، خبز الأم، قهوتها، الطفولة، (...)، لكن هذا المعجم المعبر عن تفاصيل الحياة، وتدعمه ألفاظ وتعابير مشعة، لا تعيق الفهم بل تزيد الشعر إشراحاً، تكبر في الطفولة، أعشق عمري، أحجل من دمع أمي...، لقد كانت عبارات القصيدة عذبة سهلة جميلة سلسلة، إلا أنها موجبة، مفعمة بالمعاني العميقة والدلالات ذات البعد الإنساني الشقيق، عبارة مصاغة بشكل فني رفيف، يسهم في أحداث التأثير المأمول في القارئ، ومن الدلالات المعبرة نذكر:

- حب الحياة وتفضيلها، رافة بالأم، وحجلاً من دموعها عند الاستشهاد.
- أن يكون الإبن وشاحاً لهذب الأم (وهي من أجمل عبارات القصيدة وتعبر عن علاقة الحب الإستثنائية بين الطرفين).
- تغطية جسده بعشب نغم (ونقطة تعمد ذات دلالة دينية تقديسية كما هو معروف)، الجنة تحت أقدام الأمهات، من ظهر الأم (وكان العشب يتعمد ويتظهر بمجرد ما يلبسه كعب حذاء الأم وأقدامها)، وهي صورة رائعة للتقديس الذي يكيته الشاعر لوالدته.
- شد وثاق الإبن بشعر أو خيط من ثوب الأم لعله (لابن) يصير ملكاً، عندما ترضى عنه (يلمس قراره قلبها، على حد تعبير الشاعر).²

¹ محمد صلاح، محاضرة المرأة في شعر محمود درويش، من طرف أبو وطن، غزة، الأحد 29 مارس 2009، 9.35 pm.

² محمو درويش، المرجع السابق، ص 98.

- احتلت الأم مكانة مرموقة في ديننا الإسلامي، وكذلك مكانة عليا في نفوس الشعراء ف "محمود درويش" كان متميزا عن غيره من أبناء جيله من الشعراء، من قصائده (إلى أمي) تعتبر نموذج رائع للشعر الجميل، السهل الممتنع، وهي نشيد مؤثر لعلاقة طفل كبير بأمه، وكل ما يتصل بتلك العلاقة من مشاعر إنسانية عالية، والسمو في صياغة فنية جميلة، ودلالاته معنوية لا تقل عنها جمالا وروعة، وجمال القصيدة هذه ينبع حب النقاد من هذا المزج المبدع بين البسيط والبدال العميق.¹

¹ محمد حجاجي: "إلى أمي وجمالية الإنسياب في البساطة"، (www. zizalley.com)

المبحث الثالث: المرأة الحبيبة

إن من المتعارف عليه أن "محمود درويش" من خلال كتاباته الشعرية، نجد أنه يعتبر المرأة رمزا للوطن والأرض هو يقول:

عيونك شوكة في القلب

توجعني... وأعبدها

وأحميها من الريح¹

ويقول في محل آخر

من رموش العين سوف أحيط منديل وأنقش فوقه شعرا لعينيك²

بالإضافة إلى ما سبق، فإن درويش يظهر للمتلقي بعلاقة حب وغرام بين العاشق والمعشوقة، يقول من قصيدة بعنوان "تلك صورتها وهذا انتحار العاشق"

أحب لمرأة تمر أمام ذاكرتي وميزاني

ولا تبقى ولا تمضي³

كما تناول محمود درويش، المرأة باعتبارها مصدر الحنان والعطاء فهي تحمل كل قيم الحضارة، فهو يذكرها باعتبارها الأرض، المرأة والحبيبة والعشيقة التحمت مع درويش وشكلوا معا صورة، توضح علاقة العاشق بالمعشوقة، فالمرأة بالنسبة له هي المخلوق الذي يخفف ثقل هذه الأمور.⁴

¹ محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993م، ص 79.

² المصدر نفسه، ص 82.

³ محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993م، ص 560.

⁴ أبو حميدة، محاضرة.

يقول درويش:

خذيني تحت عينيك

خذيني لوحة زيتية في كوخ حشرات

خذيني آية من سفر مأساتي

خذيني لعبة... حجرا من لبيت¹

¹ محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993م، ص 84.

المبحث الرابع: المرأة الأخت

إن شاعرنا محمود درويش يكن لشقيقته عواطف جياشة، معلنا عن محبته وتقديره ومدى إحترامه وخوفه عليها، فهذا كله عكسه في تفرغ شحناته العاطفية، في تجربته الشعرية، فمحمود درويش من الشقيقة يقول:

وكيف حال أختاه

هل كبرت... وجاءها خطاب¹

وكيف حال أختنا

هل كبرت... وجاءها خطاب

وكيف حال جدتي

أم تزل كعهدا تقعد عند الباب؟

تدعو لنا...

بالخير... والثبات... والثواب

وكيف حال بيتنا

والعتبة الملساء... والوجاق... والأبواب؟

سمعت في المذيع

رسائل المشردين... المشردين

جميعهم بخير

لكنني حزين.

¹ محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993م، ص 37.

نكاد أن تأكلني الظنون

لم يحمل المذيع عنكم خيرا...

ولو حزين

ولو حزين

خاتمة



أن الشعر تكمن في إنحراف اللغة عن مساراتها المعجمية وحتى عن لا مألوفها الذي بحثته العادة وتواتر الاستعمال، مما يتيح لها التجدد والانفتاح على أكثر من دلالة ومن ثمة الإنبعث المتناهي من رحم النص توقف نظمه.

أن الرمز دالة لها شعريتها الخاصة موسومة بالكثافة الدلالية ما يتيح لها تجاوز معناها ودلالاتها الأحادية حيث التحامها بالنص الشعري إلى دلالات لا محدودة، فالرمز هنا نص قائم بذاته متقاطع في دلالاته مع دلالة النص الذي ورد فيه ما يتيح تحت دلالات جديدة لتكون في الرمز أو النص الشعري إذا أخذنا الواحد منها بمعزل عن الآخر.

أن النص الشعري المعاصر غير مؤتمر بالنظرة القبلية ولا القيد القاموسي بقدر ما أصبح النص الشعري المعاصر يقول عن ذاته غير ما حاجة لتعليق من صاحبه، ضف إلى ذلك تخريج أبينة على نحو يكسر قانون المعاجم اللغوية ما يعتق قضاؤه بعد أن كان عريقا ليصير الفضاء الشعري هذا مجالاً للرؤيا تعلق فيه دلالات النص الرئيسية والفرعية، وتتعدد زواياه بتنوع مؤلفيه بين خاص ونص وأكثر من متلق.

إن النص الشعري أصبح ناميا متطور على غرار التجربة الدرويشية، فبقدر ما هو موغل في الغموض والإبهام بقدر ما يتيح القراءة النقدية المنتجة له.

إن تجاوز اللغة الشعرية عند درويش لحدود المعاجم وأسوار النص تجعل من القارئ مشركا حقيقيا في عملية التأويل بما يتيح له من توليد للمعاني وإنتاج للدلالات.

لقد تنوعت وتلونت آليات الإنتاج الشعري كتابة وقراءة حتى صارت الوسيلة والغاية الشعرية في وقت واحد ومثل ذلك دالة التناص والصورة الشعرية، وكذا توزع المعنى الشعري على ما هو معرفي عقلي من جهة وما هو عاطفي وانفعالي من جهة أخرى.

نلاحظ تجربة درويش فنجدها حافلة بالثقافات العديدة والمعارف التراكمية من أساطير قديمة عربية ويونانية وآرامية وكنعانية وغيرها، بالإضافة إلى التراث الشعري للعرب وغيرهم من الأعاجم، كما نجد حضوراً قوياً لكل الكتب السماوية والأديان ما يضع القارئ تحت وطأة هذا الكم الهائل من المعارف، فحق القول أن من يقرأ "درويش" وجب أن يكون مثقف ثقافة "درويش".

لقد استطاع الشاعر الانزياح بلغته عن المؤلف الداجن ويعدل بها عن المقصود المباشر ويحملها توتراً بإسناده العلائقي بين تراكيبه وأبنيته وحتى بين قصائده ودواوينه.

إن الشاعر "محمود درويش" استطاع بحنكة لغوية منه وحكمة شعرية تصوير الوطن ورسمه منمنمة شعرية، أفرد جزئياتها ملونة ومموهة على لوحة تجرته الشعرية، وترك مهمة الكشف عنها ومن ثمة تجميعها ونظمها للقارئ لتكتمل الصورة الكلية وتحدث اللذة.

إن الشاعر "درويش" شاعر الدهشة وشاعر الرمز والكثافة وزع نصف ما أراد أن يقوله في نصوصه على قلوب القراء والنصف الآخر على عقولهم، فقال ولم يقل مات "درويش" الشخص ومع هذا حين نقرأ شعره نشعر به وندرك أنه بدأ الكلام اللحظة فقط.

إن ثقافة الشاعر الواسعة حتى تراه وكأنه يغرف من بحور الإنسانية تقع عبثاً بحجمها على كاهل القارئ الذي لا يسعه إلا محاولة القبض ليتسنى له الولوج إلى نص الشاعر "درويش".

أن تجربة "درويش" تظل تتراوح بين مستويات الفهم لدى القارئ، فإن كان ما عرضنا له من أنماط الدلالة يساعد إلى حد معين في قراءة شعره، فهذا لا يعنى من طرق مستويات أخرى صوتية وإيقاعية وغيرها للنص عليها تحلي وجهاً آخر لا يزال قابعا في الظل ينتظر من يجره.

- أن شاعرنا العربي قادر على واقع النكبة المأسوي وأبعادها.

- أنه كان على درجة عالية من الوعي والثقافة والنضج.

- أن قصائده في النكبة نابعة من مشاركة عاطفية وفكرية معا، فكان شاعرا وقارنا في الوقت نفسه.
 - أنه استخدم التراث الإنساني كله وأحسن توظيفه بما في ذلك التراث اليهودي.
 - أن حبه ارتبط بالأرض، وبكل ماله علاقة بالأرض من دوال ومدلولات.
 - أنه لم يكن سوداويا أو متشائما في شعره، فلم تزد النكبة والمعاناة والألم إلا صلابة وسمودا وتحديا.
 - أنه اعتمد على الحجة والمنطق والعقل والحقائق التاريخية لصالح القضية الفلسطينية.
 - أن حبه للوطن ارتبط بحبه للمرأة، باعتبارها المعادل الموضوعي للأرض، فقد الوطن حبيبة وأما، وشقيقة وامرأة من حليب البلبل.
 - أنه كان متفائلا بحرية فلسطين، وانتصار الحق الفلسطيني بإذن الله مهما بلغت وحشية الصهاينة، عاجلا أم آجلا إن شاء المولى عز وجل.
- بعد كل هذا تأتي الخاتمة لتسرد أهم النتائج التي توصل إليها البحث في خطوط واضحة تدور حول الموضوع الأم وهو "البعد الإنساني في شعر" محمود درويش".



قائمة المصادر و المراجع

أولاً: المراجع

1. إبراهيم طوقان، ديوانه، دار العودة، بيروت.
2. إيمان محمد وحضر الكيلاني، بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2008.
3. تقي الدين النبهاي، إنقاذ فلسطين، مطبعة ابن زيدون، دمشق، 1950.
4. حيدر توفيق بيضون، محمود درويش، شاعر الأرض المحتلة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.
5. رجاء النقاش، شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، د ط، 1971.
6. رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، الطبعة الثانية.
7. عادل محمود، محمود درويش، الجوهرة المؤلمة، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية لكتاب منشورات الطفل، دمشق، ع 1، 2011.
8. عبد الرحمان بن القعود، في الإبداع والتلقي الشعر بخاصة، مجلة عالم الفكر، ع 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد، 25، 1997.
9. عبد الرحمان ياني، محمود درويش في مرحلة النضج والتفوق، زيتونة المنفي، م، س.
10. عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل، ط 1، دار جبرير، عمان، الأردن 2009.
11. عتر الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002.
12. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2008.
13. فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر "محمود درويش"، دار الهداية، ط2، 1973.
14. قسطنطين زريق، معنى النكبة، دار العلم للملايين، غزة، 1948.

15. محمد بينيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته التقليدية، ج 1، دار توبقال، الدار البيضاء، ط 2، 2001.
16. محمد حجاجي: "إلى أمي وجمالية الإنسياب في البساطة"، (www. zizalley.com).
17. محمد شفيع السيد، قراءة الشعر وبناء، الدلالة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2008.
18. محمد صلاح، محاضرة المرأة في شعر محمود درويش، من طرف أبو وطن، غزة، الأحد 29 مارس 2009، 9.35 pm.
19. محمد وائل عبد ربه، محمود درويش من المهدي إلى اللحد، دار ياخا للنشر والتوزيع، ط 1، 2009.
20. محمود درويش: الجدارية، ديوان حصار مدائح البحر، 1994.
21. محمود درويش، الأعمال الشعرية، المجلد الأول.
22. محمود درويش، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، طبعة 12، 1987.
23. محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993.
24. محمود درويش، حالة حصار، ديوان كزهر اللوز أو أبعد.
25. محمود درويش، ديوان أحبك ولا أحبك، المجلد الأول، دار العودة، بيروت.
26. محمود درويش، ديوان كزهر اللوز، رياض الرئيس للكتب والنشر، لبنان، ط 1، 2005.
27. محمود درويش، قصيدة "تلك صورتها وهذا انتحار العاشق"، ديوان، مج 2.
28. محمود درويش، قصيدة "رحلة المتنبى على مصر"، ديوان حصار مدائح البحر.
29. محمود درويش، قصيدة "قل ما تشاء"، ديوان لا تعتذر عما فعلت، الأعمال الكاملة، م، س، ص.
30. مشري بن خليفة، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية.
31. مصطفى ناصف: الصورة الادبية، دار الاندلس، ط 2، 1981.

32. هاني الخير، محمود درويش، رحلة عمر في دروب الشعر، دار خليش، الجزائر، ط 1، 2008.

ثانيا: الجرائد

33. ناصر علي، جريدة الشرق الأوسط، الأربعاء 24 جمادى الأولى 1422هـ، 15 أغسطس 2001،

العدد 8296.

ثالثا: الأنترنت

34. موقع أدب: www.adab.com

35. موقع الجزيرة: [www. Aljazera.net](http://www.Aljazera.net)

الصفحة	العنوان
	خطة المذكرة
/	البسمة.....
/	كلمة شكر.....
/	إهداء.....
أ	مقدمة.....
02	مدخل.....

الفصل الأول: شعرية "محمود درويش"

09	المبحث الأول : بنية القصيدة في شعر "محمود درويش"
15	المبحث الثاني: الصورة الشعرية عند "محمود درويش".....
19	المبحث الثالث: اللغة الشعرية عند "محمود درويش".....
25	المبحث الرابع: شعرية الإيقاع (الموسيقى الشعرية).....

الفصل الثاني: إنسانية "محمود درويش" من خلال

شعره

29	المبحث الأول:الحرب.....
37	المبحث الثاني:الحرية.....
41	المبحث الثالث: الحب.....
45	المبحث الرابع: الموت والحياة.....

الفصل الثالث: تجليات البعد الإنساني من خلال

صورة المرأة عند "محمود درويش"

56المبحث الأول: المرأة الوطن
60المبحث الثاني: المرأة الأم
65المبحث الثالث: المرأة الحبيبة
67المبحث الرابع: المرأة الأخت
70خاتمة
74قائمة المصادر والمراجع